سلسلة

قادة حول الإمام علي

(٣)

الفريق الركن

حامد سالم الزيّادي

الصحابي الجليل

عمار بن ياسر

سلسلة

قادة حول الإمام علي

(3)

الصحابي الجليل

عمّـار بـن ياسـر

جهاده وصبره

الفريق الركن

حامـد سالـم الزّيّـادي

اسم الكتاب : الصحابي الجليل عمّار بن ياسر
المؤلف : حامد سالم الزيادي
الناشر : دار الجواهري

E-mail: daraljwahere@yahoo.com
موبايل 07702910090 / 4163386
بغداد - شارع المتنبي
بيروت - لبنان
دمشق - سوريا

حقوق الطبع محفوظة
2013
لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع ، أونقله على اي نحو أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أوبالتصوير او بالتسجيل أو بخلاف ذالك الا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر

All righs reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system.or transmitted in any formor by any means.Electronics. mechanical photocopying. recording of otherwise. without prior permission in writing of the publisher.

الإهداء

الى كل الشهداء الذين ضحوا بحياتهم كي يعمَّ العدل والإنصاف .....

وتسود الحرية على مر العصور والدهور ،وفي مقدمتهم أُولئك الرهط من المؤمنين الذين ساروا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على خط المبدأ والعقيدة دون أن يحيدوا عنه قيد أُنملة ،أهدي كتابي هذا ومن الله التوفيق وعليه المستعان .

الفريق الركن

حامد سالم الزيادي

1آذار2006

المـقدمة

كنا قد بدأنا - بعد التوكل على الله - الكتابة في سلسلة قادة حول الإمام علي (ع)، فبدأنا تلك السلسلة بالقائد العلم مالك الأشتر النخعي ، بعد أن كتبنا عن الإمام نفسه كتابنا الموسم "الإمام علي (ع) والحرب "،ومن ثم واصلنا الكتابة، فعرجنا على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ،ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، المعروف بـ "المرقال" حامل راية الإمام الكبرى ، وها نحن نكتب اليوم عن قائد آخر من هؤلاء القادة الأفذاذ وهو عمار بن ياسر ،وما له من مكانة عظيمة في التاريخ الإسلامي ،فعمار كان أول المسلمين وأسبقهم اليه ،وقد تعرض في سبيله الى الكثير من العنت والمعاناة وتحمل عظيم الأذى والإبتلاء ، واستشهد والداه في طريق الجهاد من أجل الإسلام الحقيقي ، ومن ثم قدم هو حياته ثمناً على اصراره في السير على نفس الطريق الذي اختطه الإمام علي ،فرعت ذلك الطريق القلة من الرجال المؤمنين والتزمت به ،وكان هذا ديدن من سار عليه ، فكانوا الشهداء كلهم على ظلم تلك الأمة التي تنكرت لحق أمير المؤمنين ووقفت تحاربه ، وتمنع أن يكون الإسلام الحق هو الهادي لتلك الدولة الفتية ، تسير وفق ما أراده نبي الإسلام محمد (ص)،وهدى القرآن الكريم ،فتم تزييف كل ما أتى به النبي الكريم وتنكرت لما أراده وسعت الى الوقوف بكل ما أُتيت من قوة وجاه وأنصار ضد القيم الحقيقية للدين ودعاته، فهم نفسهم الذين حاربوا النبي وحاربهم على الحق،وهم نفسهم الذين حاربهم الإمام علي (ع) على الحق ولا شيئ غيره ،هم بني أُمية الذين تسللوا الى تلك الدولة الفتية فحولوها بسنان يلعبون فيه ما يشاؤون ، فحرفوا كل شيئ ووقفوا بقوة بوجه المسيرة الحقيقية التي قادها الإمام علي (ع) .

لا عجب ان من كتبنا عنهم ، لحد الآن ، قد قدموا كلهم حياتهم في الطريق التي اختاروها بوعي عميق مع امامهم ، دون أن يدخل الشك في قلوبهم بانهم كانوا على حق ، فها هو عمار يقول " والله ما هم(يقصد جيش معاوية في صفين) من الحق على ما يقذي (القذى مرض يصيب العين) عين ذبابة. والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر (وانما خص هجر للمباعدة في المسافة،كونها تقع في عمق اليمن ، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل) لعرفت أنّا على حق وهم على باطل " مما يقدم لنا صورة عن عمق ايمان عمار بن ياسر بالقضية التي كان يقاتل من أجلها مع الإمام علي (ع)،يذكرنا قول عمار ذلك بقول الإمام علي المشهور عن ايمانه العميق بالله خالق الكون "والله لو انكشف لي الغطاء لما ازددت إيماناً " فلهذا الرهط مدرسة واحدة تعلموا منها تلك القيم وعين ماء صافية شربوا منها مثلهم ومبادئهم التي رسخت في نفوسهم ولم تتبدل عند كل محطة من محطات الجهاد وعنفه.

لقد كان هدفي الرئيسي من كتابة هذه السلسلة "سلسلة قادة حول الإمام علي (ع) ، هو توعية الأمة بماضيها الزاخر بالعبر والبطولات لقادة وزعماء وقفوا مع الحق دون تردد أو وجل ، وضحوا بحياتهم على مذبح العقيدة والإيمان الذي لا يتزحزح بالقضية العادلة التي وقفوا معها وجاهدوا في سبيلها بأغلى ما يملكون ، على أمل تحقيق ما كانوا يصبون اليه ، نشر العدل والمساواة ، بين كل البشر، والتي أمر الله بها ، ووقفوا ضد قوى الطغيان والغدر التي كانت تتوسل بكل الأساليب الدنيئة التي تعافها وتستنكرها النفوس الأبية النبيلة ، كي نضعهم قدوة ونموذج لدحر قوى الشر والظلام المتربصة بنا ، والتي تشكل في حقيقتها

امتداد لتلك القوى التي جاهدوها ، ولو أنهم لم يحققوا النصر الناجز عليها في تلك السنين الغابرة ، لكنهم اختطوا الطريق لأجيال عديدة بعدهم نحو تدميرها واضمحلالها ، وما علينا في هذه الأيام سوى التمسك وبوعي ثابت بنهجهم واصرارهم على المضي دون كلل في مقارعتهم وجهادهم ، وأن لا نسمح لروح الهزيمة أن تتسلل الى قلوبنا وأفئدتنا ، ونحن نملك الكثير من وسائل المنعة والقوة ، وسوف نحقق النصر باذن الله لو توحدنا ، وأحسنا استخدام ما نملكه من تلك الوسائل.

تنجم أهمية الكتابة عن القائد الشهيد ، عمار بن ياسر ، كونه كان قد وضع بصماته واضحة على أهم مرحلة في التاريخ الإسلامي ، منذ ظهور الدعوة الإسلامية حتى استشهاده في معركة صفين ، كما شارك في كل الأحداث الخطيرة التي حدثت في تلك المرحلة ، الجهاد مع النبي ومشاركته في كل المعارك التي قادها ، وفي أغلب الغزوات والغارات التي أمر بها الرسول الكريم (ص) ، حروب الردة ، حروب الفتح الإسلامي ، معركة الجمل ، معركة صفين ،تلك الأحداث التي كان تأثيرها يمتد الى سنوات طويلة لاحقة ، اضافة الى الصفات الفريدة التي كان يتمتع بها ، الشجاعة التي لا نظير لها ، الإخلاص ، الثبات على العقيدة ، التواضع، الكرم ، الدفاع عن المظلومين ، ومناجزة الطغاة والناكثين والمتمردين ،وزهده الذي كان يظهر عليه حتى في أحرج الأوقات التي تقتضي منه أن يعد نفسه لقضية ستلقي بثقلها عليه ان لم يهيأ لها ،فقد كان يخرج الى القتال في الحرب في لباسه العادي لا يرتدي للحرب لاماتها وحديدها كما يفعل الآخرون ،بل يلف خصره بحزام من ليف سعف النخيل ويخرج لمنازلة أبطال العرب دون أن يضع حياته الأبية أن تكون أي مانع يحول عن

إقدامه وسالته في القتال وهو شيخ جاوز التسعين من عمره، رحم الله عمار بن ياسر وأسكنه فسيح جناته إنه سميعٌ مجيب .

سوف نواصل ، بعون الله ، الكتابة عن القادة الآخرين الذين وقفوا حول الإمام علي يؤآزرونه ويحامون عنه بالروح والكلمة، والكثير منهم كان قد استشهد معه في صراعه الذي لم يتوقف من أجل أن تؤسس دولته على العدل والحق لكل المحرومين ، ونحن انما قصدنا من هذا المشروع المبارك الكبير أن تقف الأمة على نوع الرجال الذين دافعوا عن الحق ، وصلابتهم فيه ، لتأخذ منهم الدرس والعبرة ، والثقة بالنفس والصمود والإستعداد للتضحية في سبيل المبادئ والقيم السامية ، ونبعد عنهم الشكوك التي تثار حولهم والتي غالباً ما كان الحاقدون يسعون الى إثارتها بمختلف الطرق والأساليب التي كان هدفها تشويه سيرتهم ، بل أنهم كانوا في بعض الأحيان يجهدون لتحريل جهادهم وصدقهم ليعمل في صالحهم ولا يقف بوجههم من يكشف الزيف الذي يمارسونه على رؤوس الأشهاد ، والله الموفق .

أرجو من القارئ الكريم أن يتسع صدره للكاتب المتصبر، إذ ربما وجد أن هناك تكراراً لبعض العبارات ، وقد يولد ذلك التكرار بعض الملل لديه . لكن الخوض في بحث تاريخي مضت عليه مئات السنون بحاجة الى الإعتماد على كل المصادر التي تذكر حادثة بعينها ، وربما احتاج أمر رفع الغموض والتشكيك الذي ربما يلجأ اليه بعض من لا يتفق البحث مع أهواءه ورغباته كي يقللوا من قيمته والجهد الذي بذل عليه الى اعادة وتكرار الإشارة الى بعض المصادر أو إعادة ذكر ما إحتوت عليه للتأكيد على صورة خبر ما له أهمية لتأكيد بعض الأحداث

لإعطائها الصدقية التي افتقدتها عبر التاريخ الذي كان غالباً ما تعرض للتحريف، اضافة الى ما ذكرناه من أسباب ، فإن بعض المصادر التي اعتمدناها في تثبيت حادثة معينة تضيف بعض المعلومات التي تبدو للوهلة الأولى أنها غير ذات قيمة كبيرة ، لكنها تشكل في واقع الحال قيمة ثمينة عندما يجري ربطها مع النتف الأخرى من المعلومات التي حصلنا عليها من مصادر عديدة حيث تشكل سلسلة مترابطة من المعلومات، وسيجد القارئ الكريم نفسه أن قيمة الكلمات المعدودة التي ترد في مصدر دون آخر لها قيمة ثمينة ، على أن المعلومات التي بذلنا جهوداً كبيرة في الحصول عليها تشكل نزراً يسيراً لا يساعد على تقديم بحثٍ متكاملٍ ، ألاّ أننا حاولنا أن نجمع المعلومات المتناثرة في مصادرها ونربطها مع بعضها ، ثمَّ نقارنها مع بعضها للحصول على حقائق ثابتة الى حد كبير تساعدنا في الوصول الى ما نبتغيه ، وهو عملٌ جد عسير يشبه الى كبير عمل هيئات ركن الإسخبارات في الجيش ،على الخط الذي سار عليه البحث يوضح وبصورة لا يستطيع أحد أن ينكرها هو أن عمار بن ياسر كان من من أصدق صابة الرسول الكريم (ص) وأكثرهم إخلاصاً له ومن ثم ظل على ذلك الإخلاص للإمام علي عليه السلام،والله الموفق وعليه المستعان .

الفصل الأول

1 . من هو عمار بن ياسر ؟
2 . زواج سمية أم عمار من ياسر .
3 . وصف عمار بن ياسر .
4 . تواضعه .
5 . إسلام عمار وما لاقاه من أذي على أيدي قريش .
6 .قصة ياسر والد عمار .
7 . القول في من يشري نفسه .

من هو عمار بن ياسر؟

هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العبسي ،هاجر عمار الى الحبشة ، قبل أن يهاجر الى المدينة قبل هجرة النبي اليها ، بعد اشتداد ضغط الكفار عليه ، " وهاجر الى أرض الحبشة ، وصلى القبلتين ، وهو من المهاجرين الأولين " (1).

جاء في جمهرة أنساب العرب لإبن حزم الأندلسي ص405 عن عمار: وعمار، والحريث،وعبد الله،بنو ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن المعيق بن الوزع بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس،وكان لهم في الإسلام قدم صدق،وأسلم ياسر وإمرأته سمية،وعمار بدري مهاجر،معذب في الله - عز وجل ، وابناه أسعد ، ومحمد، وأبو اليقظان وأبو عبد الله عمار بن ياسر العنسي من احدى قبائل اليمن ، صحابي جليل استشهد في التاسع من صفر بين يدي علي وكان عمره ثلاث وتسعين،صلّى عليه أمير المؤمنين (ع) ودفنه في أرض المعركة . مرقده في ((الرقة)) (2) بصفين، ولرسم قبره دكة تظلها قبة في الصحراء قريب من منازل السكن في قرية الرقة.

وجاء في الإصابة في تمييز الصحابة لإبن حجر العسقلاني،ج2 ص513 عن عمار ما يلي: عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم من بني ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس (بنون ساكنة) بن مالك العنسي أبو اليقظان حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاتهم . كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكان ممن يضرب في

الله، فكان النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يمر عليه فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ، وأُختلف في هجرته الى الحبشة ، وهاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها ، ثم شهد اليمامة فقطعت اذنه بها ، ثم استعمله عمر على الكوفة ، وكتب اليهم - أهل الكوفة - أنه من النجباء من أصحاب محمد، وتواترت الأحاديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم، أن عمار تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة .

كان عمار بن ياسر فقيهاً فاضلاً مجاهداً صحابياً شجاعاً فارساً ،موالياً للنبي الأكرم ولوصيه وخليفته من بعده علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام كان عمار يذكر دوما أن عمره يقرب كثيراً من عمر النبي (ص) ويقول " كنت تربا لرسول الله " (3) وكانت ولادته رضوان الله عليه في عام الفيل ، وهو عين العام الذي ولد فيه النبي ، كما يستفاد من قوله ذلك ولم يكن أحد أقرب سناً الى النبي منه .

سمية : وسمية أم عمار،هي سمية بنت خباط، بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، وهي أم عمار بن ياسر،وكانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي،ثمَّ زوَّجها ياسراً فولدت عماراً وهي أول شهيدة في الإسلام، وجأها أبو جهل بحربة فماتت،المعارف 111 -112 والإصابة582. وقعة صفين،نصر بن مزاحم،ص199 "(3)وُلِدَ بين سنة 53 و 57 ، وقيل أنه قُتِلَ في تسعة صفر سنة 37 هجرية ، وألأصح أنه وُلِدَ قبل تلك التواريخ بعشرة أعوام لأنه استشهد رضوان الله تعالى عليه وعمره اربعٌ وتسعون عاماً، باتفاق كل المؤرخين ، وليس كما جاء في كتاب أعيان الشيعة

للسيد محسن الأمين ، فتكون سنة ولادته ما بين 43 و 47 كي يكون عمره اربع وتسعون .

ومعنى الإسم(عمار) وكما ورد في أعيان الشيعة هو : " وعمار اسم ميمون ، قال في القاموس : العمار الكثير الصلاة والصيام والقوي الإيمان الثابت في أمره والطيب الثناء والطيب الروائح والمجتمع الأمر " (4) ، فلله درك يا أبا اليقظان ، فلقد كان إسمك ..اسم على مسمّى " فلقد جمع اسمك كل ما هو طيب ونبيل وكأن القدرة الإلهية قد اختارت لك ذلك الإسم لتجعلك تتميز عن الآخرين حتى باسمك ، ولكن لو ناديت حيّاً .

ورد في كتاب التهذيب لإبن حجر العسقلاني عن عمار بن ياسر " عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن الحارثة بن عامر بن عبس كذا قال ابن سعد العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم. وامه سمية من لخم ، وكان ياسر قَدِم من اليمن الى مكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة ، فزوجه مولاته سمية فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، وأسلم عمار وأبوه قديما ،وكانوا ممن يعذب في الله ، وقتل أبو جهل سمية ، فهي أول شهيد في الإسلام ، وعن مسدد قال : لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر. (5)

زواج سمية أم عمار من ياسر

كانت سمية بنت خباط أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، تزوجت من حليفه ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي ، وكان ياسر عربياً قحطانياً مذحجياً من بني عنس ، أتى مكة هو وأخويه الحارث والمالك طلباً في أخيهما الرابع عبد الله ، فرجع

الحارث والمالك الى اليمن وبقي هو في مكة . حالف ياسر أبا حذيفة بن المغيرة ، وتزوج من أمته ـ سميَّة ـ أو هو زوجه اياها ،وأنجب منها عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، وظل ياسر وأبنه مع أبي حذيفة الى أن مات ، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وأخوه عبد الله الذي عثر عليه بعد حين وسمية وابنها عمار .

ومن ولد عمار بن ياسر " بنو عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله،بن سعد ،بن عمار بن ياسر ، قتل عبد الله هذا عبد الرحمن بن معاوية ، بنوه بحصن وتاج ، ودار عنس بالأندلس " (6) ،ويبدو أن كره وعداء بني أمية لعمار كرهاً راسخاً لم تنسيهموه السنين حتى بعد مرور أجيال كثيرة، انتقل معهم الى الأندلس ، فجرى دم آل عمار على أرضها البعيدة شفاءً لغل وحقد بني أمية على كل من ناصر الإمام علي (ع) .

وصف عمار بن ياسر

عن الواقدي : عن عبد الله بن أبي عبيدة ،عن أبيه ، عن لؤلؤة مولاة أُم الحكم بنت عمار ، إنها وصفت لهم عماراً : أدم ، طوالاً ، مضطرباً ، أشهل العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، لا يغبر شيبه ،وعن كليب ،عن أبيه قال : رأيت عماراً بالكناسة أسود جعداً وهو يقرأ . رواه الحاكم في المستدرك . وكان عمار لايغير شيبه ، أي لا يستخدم الخضاب لتغيير شيب لحيته.

وعن الشبكة الإسلامية ـ عرض التراجم ـ جاء وصف عمار :

كان طوالاً ، أشهل ، رحب ما بين المنكبين ، من أطول الناس مكوثاً، وأقلهم كلاماً عريض الصدر ، شهد مع رسول الله جميع المشاهد ،بدراً وأُحداً ، والخندق ، وتبوك وبقيتها جميعاً .

لقد كان عمار رضوان الله عليه ، طويل الحزن والكآبة ، وكان عامة كلامه عائذاً بالله من الفتنة .

تواضعه

كان عمار متواضعاً زاهداً سمحاً كريماً فقد سبه رجل وعيَّره ذات مرة بإذنه التي قطعت في سبيل الله ، وقال له : أيها الأجدع ، فقال له عمار : خير أُذُنيَّ سببت ،فإنها أصيبت في سبيل الله ،وكانت أُذنه قد أصيبت في قتال مسيلمة الكذاب ، وتذكرنا تلك القصة بأُخرى مشابهة لها حدثت لهاشم المرقال عندما عيره والي الكوفة من قبل عثمان قائلاً له : يا أعور .

وقال عبد الله بن أبي هذيل وهو من معاصري عمار في الكوفة : رأيت عمار بن ياسر وهو أمير الكوفة يشتري من قثائها . والقثاء صنف من الخضار كبير وشكل كبير . ثمَّ يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره وهو يمضي الى داره ، وفي قصة أخرى يرويها ابن سعد في طبقاته فيها دلالة أيضاً على مبلغ تواضع عمار بن ياسر وهو أمير الكوفة " عن أبي الهذيل قال : رأيت عمار بن ياسر اشترى قتاً بدرهم فاستزاد حبلاً فأبى حتى قاسمه نصفين وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة ، وعن مطرف : رأيت عمار بن ياسر على لحاف ثعالب ثوباً " (7)، وتلك هي أخلاق معلمه الإمام علي (ع) ومدرسته التي سار عليها الخلص من الذين وقفوا معه وناصروه، تذكرنا تلك الحادثة بأُخرى وقعت لمالك الأشتر في الكوفة عندما كان أهلها يتحشدون فيها لقتال معاوية ،وقد كان الأشتر في طريقه الى المسجد ماراً في سوقها عندما قذفه أحد السفهاء من أحد دكاكينها بتمرة من الثمار المعروضة في الدكان ،لاحظ أحد أصحاب الدكاكين المجاورة ذلك فقال للرجل ماذا فعلت ألا تعلم من هو الذي رميت ،إنه الأشتر صاحب الخليفة وقائد جنده فارتعب الرجل من الخوف

وسار خلف الأشتر الذي دخل الى المسجد فدخل الرجل هو أيضاً وانتظر الأشتر حتى أنهى صلاته فقام نحوه مسرعا يعتذر منه لسوء ما عمله ،فقال له الأشتر ما معناه :

لا عليك يا رجل وقد دخلت المسجد لأصلي عنك ركعتين عسى أن يغفر الله لك ، فهل كان هذا السلوك المتواضع ليروق لأرستقراطية قريش التي كانت تمتلك العبيد والخدم والحشم يؤدون لها كل ما تريد وهي جالسة منعمة ترى أن لها وحدها الحق في القيادة والأمرة والإيثار والتسلط ، فليس مسغرباً إذن أن تذكر قريش عماراً بسوء أمام الخليفة عمر بن الخطاب الذي عزله عن امارة الكوفة ارضاءاً لهم دون أن يتحقق عن صحة الأمر بصورة كافية وقاطعة.

إسلام عمار بن ياسر وما لاقاه من أذى على أيدي قريش

في دار الأرقم ، التي سميت فيما بعد بدار الإسلام ، اسلم عمار بن ياسر ،وقد توجه عمار الى تلك الدار بعد أن سمع بخبر النبي وذيوع نبوته ، كما علم أن عدداً من أهل مكة كانوا يجتمعون فيها يتناقشون في أُمور الدين الجديد الذي بدأت تهل بشائره على أرض الجزيرة العربية بعد انتظار طويل ،فأعلن القسم الأعظم منهم اسلامه وايمانه بالدعوة الجديدة، وأسلم عمار بن ياسر، ثمّ عاد الى بيته فأسلم أبوه وأمه سمية وأخوه عبدالله .

وما أن علمت قريش بإسلامه وأبويه وأخوه حتى ثارت تائرتها ، وأظهرت غضبها وقررت أن تنتقم منهم ، وكان أكثرهم حقداً عليه حلفاءه بني مخزوم ،أهل خالد بن الوليد ، فخذٌ من قريش ، الذين لجأ أبوه اليهم عند قدومه الى مكة قادماً من اليمن موطنه وموطن عشيرته الأصلي ، وأصبح حليفهم فيها ، بل ان قريش كلها وجدت في اسلام تلك

العائلة تحدي كبير لها ، وهي تملك كل شيئ حتى المصائر وكان أن تعرض آل ياسر الى كل أنواع البلاء وعواصف المحن وانصبت عليهم كل أنواع الإبتلاءآت وخطوب الدهر ، وقد أرادت قريش من تعذيب آل ياسر بكل تلك القسوة أن تجعلهم عبرة للذين يفكرون أن يتركوا عبادة آلهتهم وكفرهم ويتجهوا الى عبادة الله وحده ، وبث الرعب في نفوس المستضعفين من المسلمين الأوائل ،وقد كثرت الروايات حول تفنن آل مخزوم في تعذيبهم لأسرة آل ياسر التي أظهرت صموداً وإيماناً كبيرين أثار غضبهم ،حتى جاء أبو جهل الى سمية أم عمار وطعنها في قلبها وهي تأبى أن تعلن برائتها من الإسلام ورسوله ، شروط المشركين لكف الأذى والتعذيب عنهم ،وكتموا أنفاس ياسر ففارق الحياة مع سمية صابرين محتسبين ،فكانا أول شهيدين في الإسلام ماتا وهما يرفعان سبابتيهما يناديان بأعلى صوتيهما الذي وهن من شدة التعذيب ,,أحد!.. أحد !... معلنين تمسكهما بالإسلام وبوحدانية الله عز وجل حيث فاضت روحهما تحت رمضاء شمس مكة المحرقة في الأبطح في ظاهر مكة والصحراء الممتدة نحو الأفق المترامي ، وينظر عمار الى ما أصاب والديه ، فيمتلئ قلبه حقداً .. وينتظر على نار اليوم الذي يأخذه فيه ثاره من القتلة والجلادين.

ظلت قريش تواصل تعذيب عمار حتى أنه لم يعد يفقه من شدة التعذيب ما يقول ، ولا يعي ما يتكلم ، وقد شكى أمره لرسول الله فقال له رسول الله :

اصبر يا أبا اليقظان ،اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ،وكان النبي الكريم يمر على آل ياسر وهم يعذبون على أيدي المشركين من قريش وعبيدهم فيقول لهم :

صبراً آل ياسر موعدكم الجنة.

ويجيئ ذلك اليوم الذي لم ينتظر قدومه طويلاً ..ففي يوم بدر يسقط أبا جهل صريعاً يتضرج في دمه ..ويأتي عمار يبحث عنه ،ويلتقي به ،أبا جهل رأس الشرك والجبروت والطغيان .. فيجلس على صدره ليحتز رأسه ،انتقاماً لكل من أذاقه القهر والضيم من المسلمين ثمَّ لأمه وأبيه،ولم تنسَ قريش ذلك ، فعندما لبّى عمار نداء ربه كي يرحل لملاقاة حبيبه رسول الله ، وعندما استشهد في معركة صفين أمر معاوية بقطع رأسه واحضاره اليه وقد أشار الإمام علي الى ذلك في احدى خطبه المذكورة في نهج البلاغة التي يذكر فيها أصحابه الذين استشهدوا في صفين ومنهم عمار بن ياسر حيث قطعت رؤوسهم (ويبدو أن قطع الرؤوس تقليد ثابت وأصيل بين أنصار بني أمية الى يومنا هذا" أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية ، وأبرد برؤوسهم الى الفجرة " (8) ،(وأبرد برؤوسهم أي ارسلت مع البريد بعد قتلهم الى زعيم العصاة معاوية بن أبي سفيان).

قصة ياسر والد عمار

قدم والد عمار ، ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن الى مكة يطلبون أخاً لهم ، عبد الله ، كانوا يبحثون عنه ، نقل لهم عنه أنه يعيش في مكة ، فلم يجد أخيه عند وصول العائلة الى مكة بعد البحث

عنه ،وعندما قرر الأخوة العودة الى اليمن ، كان ياسر قد قرر البقاء لمعرفة مصير أخيه ، وأقام ياسر في مكة ، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، فزوجه أمةً له اسمها سمية بنت خباط فولدت عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، ثمّ مات أبو حذيفة ، فلما جاء الإسلام، أسلم عمار وأبواه وأخوه عبد الله الذي كان قد عثر والد عمار عليه بعد مدة ، و " عبد الله أخو عمار بن ياسر مات في مكة قبل الهجرة " (9)

القول في من يشرى نفسه

قال ابن عباس في قول الله عز وجلّ: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوفٌ بالعباد)،قال نزلت في رجلٍ،هو صُهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان ،أخذه المشركون في رهطٍ من المسلمين ،فيهم خيرٌ مولى قريش لبني الحضرمي ، وخباب بن الأرتّ مولى ثابت بن أنمار،وبلال مولى أبي بكر، وعابسٌ ملى حويطب بن عبد العُزَّ ى ، وعمار بن ياسر ، وأبو عمار ، وسمية أمّ عمار.فقتل أبو عمار وأمّ عمار،وهما أول قتيلين قتلا من المسلمين ، وعُذِّب الآخرون بعد ما خرج النبي صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة،فأرادوهم على الكفر. فأما صهيب فكان شيخاً كبيراً ذا متاع،فقال للمشركين : هل لكم الى خير؟ فقالوا ما هو؟ قال : أنا شيخٌ كبير ضعيف لا يضركم منكم كنتُ أو من عدوِّكم ، وقد تكلمت بكلام أكره أن أنزلَ عنه ،فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني،ففعلوا فنزلت هذه الآية،فلقيه أبو بكر حين دخل المدينةفقال : رَبِح البيعُ يا صهيب. وقال : وبيعك لا يخسروقرأ عليه هذه الآية ففرح بها. أما بلال وخبّاب وعابس وعمار وأصحابهم فعذبوا حتى قالوا بعض ما أراد المشركون،ثم ارسلوا،ففيهم

نزلت هذه الآية : ((والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلِموا لنبوئنّهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون))(10).

وقول النبي الكريم عن آل ياسر وهو يمر عليهم بعد أن كان المشركون قد عذبوهم وقتلوا ياسر وسمية أم عمار ،وآثار التعذيب تبدو على الشهيدين وعلى جسد عمار الذي شارف على الموت من شدة تعذيبه ، حيث قال لهم : ((أبشروا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)) كانت أول بشارة لمسلم بأنه في الجنة.

وقد ظلّت آثار التعذيب بالنار واضحة على ظهر عمار ، رضوان الله تعالى عليه ، حتى أواخر حياته .

أما ما جاء في حديث الرسول الكريم عن عمار بن ياسر فكثير نذكر منه ما استطعنا الى ذلك سبيلا : "جاء عمار بن ياسر يستأذن النبي صلى الله عليه وآله فقال ((ايذنوا له. مرحباً بالطيب ابن الطيب)) (11)،رأى بعض المسلمين عماراً وهو يحمل الحجارة الى المسجد (مسجد قباء) جاهداً فأعابوه فقال رسول الله((ما لهم ولعمار، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار. وذاك الأشقياء الفجار)) (12)، وقال رسول الله ((لقد ملىء عمار إماناً الى مشاشه)) (13) ، وقال عليه السلام : ((إن الجنة لتشتاق الى ثلاثة :علىّ ، وعمار ، وسلمان)) (14)،كان عمار يعمل في بناء أول مسجد بني في الإسلام،يحمل حجرين،فأشفق عليه رسول الله فقال له ((يا أبا اليقظان، لا تشقُق على نفسك .قال : يا رسول الله،إني أحب أن أعمل في هذا المسجد. قال : ثمَّ مسح ظهره ثم قال : إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية))(15)، وعندما قيل للنبي الكريم إن عمار قد توفي ،سقط عليه جدار فقتله ، قال أبداً لم يمت ابن سمية ، تقتله الفئة

الباغية ، وفي احدى المعارك التي خاضها المسلمون ضد الكافرين في حياة النبي (ص) ، كان عمار قد اصيب بعدة جروح وغطت جسمه الكثير من الدماء حتى قيل أن عمار قد استُشْهد ،ووصل ذلك الخبر الى النبي فقال كلا ..عمار تقتله الفئة الباغية .. والفئة التي كانت تقاتل النبي الكريم (ص) لا ينطبق عليها معنى البغي لأنها كانت من الكافرين ، أما الفئة التي قتلت عمار بن ياسر رضوان الله عليه فكانت باغية لأنها بغت على الإمام علي (ع) وخرجت على طاعته ، وطالبته بما ليس لها حق فيه ، فقد طالب معاوية الإمام بتسليمه قتلة عثمان ليقتص منهم ،فهل يعقل أن يقبل الإمام ذلك وهو الذي يفترض أنه من يجري العدالة فيتنازل عنها لغيره ، وكان الأجدر بالبغاة - لو أنهم كانوا يطلبون بدم عثمان حقاً، وليس ستاراً وحجة لعصيانهم ، أن يذعنوا لحكم الخليفة الشرعي ثم يطلبوا محاكمة الذين قتلوا عثمان ،وهم كثيرون ،فمنهم من اشترك بقتله مباشرة، ومنهم من حرَّض عليه، والفئتان، تختلفان عن فئة القاسطين التي قاتلها الإمام في معركة الجمل،فهذه الفئة كانت قد بايعت الإمام كبقية المسلمين على خلافته ، ثم عادت فنكثت عهدها، وادعى قسمٌ من نكثوا فيما بعد عندما حاججهم أنصار الإمام في البصرة ، أنهم قد بايعوا تحت تهديد السلاح ، وتلك فرية مفضوحة ، لأن الإمام لم يكن ليجبر أحداً على بيعته ، ولو كان ذلك صحيحاً لأجبر سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة على بيعته ، كما امتنع عدد آخر من الذين كانوا يميلون لعثمان عن بيعة الإمام علي (ع) ومنهم " حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومحمد بن مسلمة،والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابث ، واسامة بن زيد ،ورافع بن خديج ، وفضالة بن

عبيد ، وكعب بن عجرفة كانوا عثمانية"(16) ، وحسان بن ثابت كان شاعراً لا يهمه بما كان يفعل ، أما زيد بن ثابت فولاه عثمان على الديوان وبيت المال، وكان عثمان قد أكثر لزيد من .. العضدان .. (17)أي المساعدات، وكعب بن مالك كان يتولى صدقة مزينة، أي أن كل الذين لم يبايعوا الإمام كانوا من المستفيدين من النظام السابق والساعين الى تطبيط عزيمة الإمام علي (ع) في قيادة الدولة وتسيير أُمورها ، وهو أمر غالباً ما يحصل مع تلك الطبقة التي تتضرر من الإنظمة اللاحقة ، على أن الإمام علي (ع) لم يجبر أحداً على مبايعته ، واختلف رجلان من أهل الشام في معركة صفين في سلب عمار بعد استشهاده وفي قتله" فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما : ويحكما ،أُخرجا عني فان رسول الله صلى الله عليه قال ولعت (أي لجّت بأمره) قريشٌ بعمار ـ ((ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، قاتِله وسالِبُه في النار)) فبلغني أن معاوية قال((انما قتله من أخرجه)). يخدع طَغَام أهل الشام.)) (18)،وقال حذيفة بن اليمان(اني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ((ان ابن سمية لم يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما ـ يعني عماراً ـ فالزموا سمته))(19)

.

وجاء في ، ،مراقد المعارف.. ج2 ص101 :

قال رسرل الله (ص) في فضل عمار بن ياسر عدة أحاديث ـ لثباته على الدين الحنيف والمبدأ والعقيدة ـ منها قوله : ((أبشر يا أبا اليقضان فانك أخو علي في ديانته ، ومن أفاضل أهل ولايته ، ومن المقتولين في محبته ، تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن))وقوله فيه : ((انه ملأ ايماناً حتى أخمص قدميه ، وان من عاداه عاداه الله ،ومن

أبغضه أبغضه الله ، وان الجنة مشتاقة اليه)) وقوله (ص) : ((ان عماراً ملاء ايماناً من قرنه الى قدميه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه)) ، أورد رسرل الله (ص) هذا الحديث بعد أن عذَّبه المشركون وأبوه ياسر وأمه سمية وقُتل أبوه وأُمه وتخلص هو من القتل بأن أعطاهم ما يرومونه بلسانه لا بقلبه ، جاء عمار الى النبي (ص) مسرعاً يبكي فقال رسول الله (ص) ما وراءك؟

قال عمار : شر يا رسول الله ما تُركت حتى نلت وذكرت آلهتهم بخير ، فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول له : ((ان عادوا لك فعد لهم)) ثمَّ قرأ هذه الآية الكريمة فيه ((إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان))(20).

"ومما ورد في فضل عمار ما جاء في ، ، بشارة المصطفى ، ، أنه قال : الشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري باسناده عن ابراهيم بن علقمة والأسود عن أبي أيوب الأنصاري، قال أبو أيوب : فاني أُقسم لكم بالله عز وجل لقد كان رسول الله (ص) معي في هذا البيت الذي أنتم معي فيه وما في البيت غير رسول الله (ص) وعل جالسٌ عن يمينه وانا جالسٌ عن يساره وأنس بن مالك قائمٌ بين يديه، إذ حُرِّك الباب فقال رسول الله (ص) : افتح لعمار الطيب فدخل عمار وسلم على رسول الله ورحب ثم قال له :

((يا عمار سيكون بعدي في امتي هناة حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً ،وحتى يتبرأ بعضهم من بعض ،فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني [يعني علي بن أبي طالب] فاذا سلك الناس

كلهم وادياً فاسلك وادي علي بن أبي طالب وخلِّ الناس ، يا عمار ان علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى))(21).

وجاء في المستدرك للحاكم النيسابوري ج3 ص389 : (أخبرنا) محمد بن صالح ثنا السري بن خزيمة ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي عن الحسن بن عبيد الله عن محمد بن شداد عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأشتر قال سمعت خالد بن الوليد يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية ومعي عمار بن ياسر فأصبنا ناسا منهم أعل بيت قد ذكروا الإسلام فقال عمار إن هؤلاء قد وحَّدوا فلم ألتفت الى قوله فأصابهم ما أصاب الناس (ولا يذكر الحاكم النيسابوري ما حدث للناس ،وأظنهم قد أُبيدوا كما تكرر ذلك في مرات عديدة كان ابن الوليد يكلف فيها بتنفيذ غارة) قال فجعل عمار يتوعدني : لو قد رأيت رسول صلى الله عليه وآله فأُخبرته فأتى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره ، فلما رآه لا ينصره ، ولّى وعيناه تدمعان ، قال فدعاني (يعني رسول الله) فقال ياخالد لا تسب عماراً فانه من يسب عمارا يسبه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يسفه عماراً يسفهه الله . لكن عماراً تعرض كثيراً للسب والتسفيه والحقد والكراهية ولم يكن من صب عليه جام حقده الدفين من المؤرخين ليهتم لأحاديث وأقوال النبي التي تحظ على الإبتعاد عن ذلك .

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن عمار بن ياسر ، رضي الله عنه ، كان ممن شارك في بناء المسجد النبوي ، وهو أول مسجد بني في الإسلام ، وكان من شدة تفاعله مع ذلك العمل العظيم ، يحمل على ظهره لبنتين بدل الواحدة ، واحدة عنه والأُخرى عن النبي ، بينما يحمل بقية الصحابة

لبنةً واحدةً ، وعن أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : لمّا كان رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وأصحابه يبنون المسجد جعل أصحاب النبي (ص) يحمل كل واحد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبي (ص) ، فمسح ظهره وقال : ابن سمية ! للناس أجرٌ ولك أجران ، وآخر زادك شربة لبن ، وتقتلك الفئة الباغية (22)

كان النبي محمد (ص) يضع ثقته الكبيرة بعمار وحذيفة بن اليمان [الصحابي المعروف] في لحظات الشدة والخطر ومواقف الإمتحان ، فقد كان عدد من الذين يرافقون النبي في احدى سفراته يتحينون الفرصة للغدر به ، وقد فهم سلام الله عليه ما ينوون القيام به ونيتهم على الغدر به، فنادى على عمار وحذيفة الذان كانا يصحبانه في تلك الرحلة وأفهمهما بما كان يتربص بهم من خطر ، وما يتوجب عليهم أن يفعلوه ، وما يتخذون من تدابير وحذر لحمايته ، في كتاب ,,دلائل النبوة ,,لأبي بكر أحمد البيهقي قال " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وذكر الإسناد مرفوعاً الى أبي الأسود عن عروة ، قال : لما رجع رسول الله (ص) من تبوك الى المدينة حتى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه [لم يكن حرياً أن يصف البيهقي من حاول أن يغدر به بأنهم أصحابه] فائتمروا أن يطرحوه من عقبة الطريق وأرادوا أن يسلكوه معه ،فأُخبر رسول الله (ص) خبرهم فقال ((من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فانه أوسع لكم ، فأخذ النبي (ص) العقبة ، وأخذ الناس بطن الوادي ، الاّ النفر الذين أرادوا المكر به ، فاستعدوا وتلثموا ، وأمر رسول الله (ص) حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها،فبينما هم يسيرون إذ سمعوا ذكرة

القوم من ورائهم قد غشوهم ، فغضب رسول الله وأمر حذيفة أن يردهم، فرجعوا متلثمين فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر ، وأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله (ص) ، فلما أدركه قال له : يا حذيفة إضرب الراحلة لكي يجعلها تسرع] ، وامش أنت يا عمار ، فأسْرَعوا وخرجوا من العقبة " وكان النبي (ص) قد آخى بين عمار وحذيفة بن اليمان من بين عدد من المسلمين الذين آخا بينهم . ويروى أن عماراً قد كان وسيطاً للنبي في زواجه من السيدة خديجة ، وذلك أمرٌ له دلالته الكبيرة وهي قدم وعمق العلاقة التي تربط النبي (ص) بعمار بن ياسر ، ومما لابد من ذكره أن كل من عاش مع النبي ورآه هو صحابي من صحابته كما يذكر ذلك البعض ممن يفترون على الحقيقة ويزيفونها هو محض كذب وإفتراء على النبي قبل غيره والغاية منه هو ايجاد الأعذار للذين حربوا النبي ورفعوا راية العداء له أمثال أبو سفيان ومروان بن الحكم وأبيه الحكم الذي أجلاهما النبي عن المدينة ،وهؤلاء الذين رافقوا النبي وهو في حال حرب مع الكفار كانوا ينون الغدر بالنبي ،هل كل من عاش مع النبي أو رآه هو صحابي ومخلص للرسالة التي جاء بها الإسلام أم ان أبسط وصف لهم بأنهم منافقين إن لم يكونوا كفاراً ؟.

ومما جاء في القرآن الكريم بحق عمار بن ياسر عندما كانت قريش تلاحقه وتعذبه مع أمه وأبيه (الاّ من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان) عندما أكرهته قريش على شتم النبي ودين الإسلام ، فنزلت تلك الآية تطمئن عمار أن ما حدث لن يؤثر على صدق ايمانه ، لأن الله يعلم ، وهو علاّم الغيوب أن قلبه عامرٌ بايمان لا يتزحزح . كما نزلت في عمار آيةٌ أُخرى

بينما كان يعذب في الله في قوله سبحانه (وهم لا يفتنون) لتأكيد ثبات عمار على الإسلام وأن المشركين ومهما عملوا وحاولوا فانهم غير قادرين على زعزعة ايمانه بالله ، وهي آيات تلقم المتخرصين عليه بحجر وتضع عليهم الحجة ، " وقال بن عباس في قوله تعالى : ((أَوَمن كان ميتاً فأحيناهُ وجعلنا له نوراً يمشي به بين الناس)) انه عمار بن ياسر ،((كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)) انه أبو جهل سورة الأنعام آية 122 .كما جاء في شرح النهج ج10 ص103.

هوامش الفصل الأول

(1) وجاء في مقدمة((تاريخ الرقة)) بقلم طاهر النعساني ،تأليف أبي علي القشيري الحواني ص13 ان السائح الهروي مر بالرقة وشاهد قبوراً لكثير من الصحابة منها ضريح عمار بن ياسر ..قلت:وتقدم في الجزء الأول ص 136 في أويس القرني ماله صلة بالتعليق.

(2) الإصابة ج2 ص 481

(3)مراقد المعارف ص100.

(4) أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين مجلد /8 ص 373.

(5) كتاب التهذيب ، بن حجر العسقلاني ،المجلد السابع ص357.

(6) الطبقات الكبرى ، ابن سعد مجلد /3 ص255.

(7) نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ،ص 392 ./ جمهرة أنساب العرب ج2 ص382.

(8)وقعة صفين، نصر بن مزاحم،ص325.

(9)نفس المصدر،ص323.

(10) نفس المصدر ،ص323 .

(11)نفس المصدر،ص323

(12) نفس المصدر،ص323

(13) نفس المصدر،ص324.

(14) الإمام علي ، محمد رضا ، ص54

(15) وقعة صفين ، نصر بن مزاحم،ص343.

(16)سورة الحجرات آية 17.

(17)سورة النحل آية 106 ،قال الطبرسي في ، ،مجمع البيان، ، نزلت هذه الآية في جماعة أُكرهوا وهم عمار وياسر أبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب عُذِّبوا وقتل أبو عمار وأمه .

(18) مراقد المعارف ص 103

(20) رواه أحمد في مسنده ، رواه عبد الرزاق الصنعاني في هذا السياق ،البداية والنهاية ج4 ص536.

(21) أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين مجلد /8 ص 373.

(22) شرح النهج ج10 ص 103.

الفصل الثاني

1 .عمار بن ياسر والإمام علي .
2 . موقف قريش من عمار بن ياسر .

عمار بن ياسر والإمام عاي (ع)

لعمار بن ياسر علاقة خاصة بالإمام علي (ع) ، كما هي مع بقية الرعيل الأول من المجاهدين ، علاقة اتسمت بالإخلاص والإستعداد للتضحية في سبيل القيم الحقيقية والمبادئ السامية للإسلام ، والتي كان الإمام علي (ع) يمثلها ويناضل في سبيلها ، منذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية حتى استشهاده (ع) في مسجد الكوفة عام 40 للهجرة ، وكان أن تحملوا من العنت والظلم الكثير ،بل أن القسم الأعظم منهم قد قضى شهيداً في تلك المسيرة الطويلة ، فمنهم من قُتل في المعارك التي أُجبر الإمام (ع) على خوضها ،الجمل وصفين، كمالك الأشتر وهاشم المرقال وعمار وأُويس القرني وعبد الله بن بديل الخزاعي وزياد بن النضر وغيرهم كثيرون ،أو سقطوا ضحايا تحت سياط المتجبرين بعد استشهاده (الإمام علي)، كالصحابي الشهيد حجر بن عَديّ الذي قتله معاوية صبراً ، وقبره في الشام، بالقرب من دمشق وهو عامر وفوقه قبة ، والشهيد سعيد بن جبير وسليمان بن صرد الخزاعي الذي قاد حركة فدائية ثأراً للإمام الحسين (ع) وآخرون لا يحصى عددهم على امتداد المسيرة التي كانت سلسلة طويلة من الجهاد لدحر الظلم والتعدي وغمط حقوق الآخرين والتسلط على مقدرات الدولة التي أسسها الإمام علي بسيفه وصبره ووقوفه مع الحق في كل المواقف التي مرت بالعالم الإسلامي في تلك الفترة التي شهدت أعظم تآمر لحرف الدين الإسلامي عن القيم الإنسانية التي جاء بها.

كان الإمام علي (ع) يحب عمار بن ياسر حباً عظيماً وكان يحرص حرصاً كبيراً على المحافظة عليه وعدم تعريضه للمخاطر ، ففي معركة

صفين كان الإمام يتردد في الإذن لعمار في القتال ، لكنه لا يستطيع أن يرد طلبه لمرات عدة كان يسأله فيها أن يأذن له في القتال لأن مثل ذلك الأمر مما لا يتحمله شخصٌ مثل عمار قد جاوز عمره التسعين عاماً وقد نذر نفسه لمناجزة الناكثين والقاسطين لبيعة الإمام " فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر الى أمير المؤمنين (ع) وقال له : يا أخا رسول أتأذن لي في القتال ؟ قال : مهلاً رحمك الله ، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله ، فأعاده ثالثاً ، عندئذٍ بكى أمير المؤمنين (ع) فنظر اليه عمار وقال : يا أمير المؤمنين انه اليوم الذي وصفه لي رسول الله، فنزل أمير المؤمنين عن بغلته وعانق عماراً وودعه ، ثم قال : ((يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً ، فنعم الأخ كنت ، ونعم الصاحب)) ، ثم بكى وبكى عمار"(1) .

وها هو الإمام علي عليه السلام يتذكر إخوته من الرعيل الأول الذين استشهدوا في معركة صفين ومنهم رفيق دربه عمار بن ياسر ،فيلتفت فرى أحداً منهم، ويتحدث عن ذكراهم فتحس اللوعة في كلامه والشجى على لسانه والأسى في قلبه على فراقهم وكان يتمنى أن يكونوا معه وحوله في وقت كان فيه أحوج ما يكون اليهم" ألاّ إنهُ قُدْ أدبر من الدنيا ما كان مُقْبِلاً ، وأقبل منها ما كانَ مُدْبِراً ، وأزمَعَ الترحالَ عبادُ اللهِ الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقي بكثيرٍ من الآخرة لا يفنى . ما ضرَّ إخوننا الذين سُفِكت دماؤُهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء ؟ يُسيغُونَ الغُصَ ويشربون الرَّنق (الكدر)قد واللهِ لقوا الله فوفاهم أُجورهمْ ، وأحلهم دارَ الأمنِ بعد خوفهم . أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن

التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤُهُمْ من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية ، وأبْرِدَ برءوسِهِم الى الفجرة (2) . (قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام) :

أوْهِ على اخواني الذين تَلَوا القرآن فأحكموه ، وتدبروا الفرض فأقاموه،أحيوا السنة وأماتوا البدعة . دُعُوا للجهاد فأجابوا ، ووَثِقوا بالقائد فاتبعوه "(3)

ولا غرو أن عمار بن ياسر قد تعرض للسب من قبل الحاقدين عليه لثباته على المبدأ والعقيدة ، وقتاله للناكثين والمارقين والمتمردين بكل ما أُوتي من قوة وجهد ، كما تعرض معلمه الإمام علي عليه السلام الى مثل ذلك سنين مديدة ، طيلة عهد الحكم الأموي باستثناء فترة بسيطة من حكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لم تتجاوز عدة أشهر.

يُظْهِر الإمام عمق الإحساس بالأسف لفقدان عمار ورفاقه من الذين كانوا قدوثقوا به كقائد حقيقي لتلك الأمة التي أوشكت على الإنحراف فكانوا أخوة وعوناً له في مقارعة مظاهر الإنحراف والإستحواذ، كما يظهر أيضاً عمق حب الإمام لتلك الصفوة من الرجال المخلصين الذين كان أحوج ما يكون اليهم.

كان عمار بن ياسر يمثل في موقعه من الإمام علي وفي مجمل حركة الدولة الإسلامية زمن حكم الإمام (ع) كرئيس الوزراء في الدول الحديثة أو أنه كان يقوم بمهام سكرتير رئيس الدولة الخليفة أمير المؤمنين الإمام علي ، كما كان مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) يمثل رئيس أركان جيش الإمام علي ، وكان ذلك واضحاً من طبيعة المهام الخاصة التي كان ينيطها به.

كان عمار بن ياسر ملازماً للإمام علي (ع) ومرافقاً له ، وقد جلب ذلك له الكثير من العداء من قبل الذين وقفوا موقف العداء والمناكفة للأمير المؤمنين والحقد عليه ، ففي كل الأحداث التي يرويها التاريخ والتي كان للإمام فيها أثر وفعلٌ حاسم ، نجد الى جانبه عمار بن ياسر اضافة الى الصفوة من الصحابة والمجاهدين المخلصين ، فهو أما مستشاراً أو معتمداً ، أو موجهاً لبعض الأحداث أو مصوباً لها ، وكان اسم عمار يتردد مع أغلب الأحداث الجسام التي حدثت منذ مقتل الخليفة عثمان وخلافة الإمام علي حتى استشهاده في معركة صفين كما لم يكن اسمه غائباً عن الأحداث الأخرى التي هزت العالم أيام الفتوحات الإسلامية ومعارك الدفاع عن الدعوة الإسلامية، وعندما أظهرت قريش العداوة للإمام علي بعد توليه الخلافة بسبب قسمته للأموال بالتساوي ، ودعوته رؤوسهم الى اعادة ما أُخذ من بيت المال بدون وجه حق ،وكان نفر منهم معروفون بتجاوزات كثيرة في ذلك المجال ، طلحة والزبير ، مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وسُمع منهم ما يوحي بعدم رضوخهم لذلك الأمر ، ذهب أبو الهيثم وعمار بن ياسر وأبو أيوب وسهل بن حنيف فدخلوا على الإمام وقالوا له " يا أمير المؤمنين ، أنظر في أمرك ، وعاتب قومك ، هذا الحي من قريش فانهم قد نقضوا عهدك ، وأخلفوا وعدك ، وقد دعونا في السر الى رفضك ، هداك الله لرشدك ، وذلك لأنهم كرهوا الأسوة ، وفقدوا الأثرة ،ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة ، وتألفاً لأهل الضلالة . فرأيك "شرح النهج ج7 ص39.

لم يكن موقف عمار الذي تمثل بايقاف الإمام على ما كان القوم يضمرون من شر من الأمور التي يمكن وصفها بالوشاية والنميمة ، التي ينهى عنها الله عز وجل، لكنه حرص على الدولة التي كانت أحوج ما تكون الى وحدة الكلمة ، والإسراع في ردع من يبيت لها الغدر ، اضافة الى أن عمار بن ياسر كان من أخلص الناس الى الإمام ، كما أن الوشاية تأتي عادة من شخص واحد يحرص أن لا يذاع اسمه فلا يشارك معه أحد ، بينما اشترك مع عمار في اخبار الإمام بنية القوم على العصيان ثلاثة من أنصار الإمام المخلصين ، وهو ما يمكن إعتباره حرص من القوم على الصالح العام ، وعندما ارتقى الإمام المنبر في مسجد المدينة يذكر من وسوست له نفسه بنقض البيعة والتنكر للخلافة الجديدة ، أرسل عمار بن ياسر وعبد الرحمن القرشي بعد انتهاءه من الخطبة الى طلحة والزبير الذين كانا في زاوية قصية من المسجد ، يطلب حضورهما اليه شرح النهج ج7 ص40 . ، وهو أمر ليس بالبسيط والسهل ، لأن طلحة والزبير كانا من علية القوم ومن صدر الإرستقراطية القرشية ، وهما لن يقبلا أن يبلغهما أحد بالحضور اذا لم يكن كفؤاً لهما ، كما أن الإمام كان قد كلف عمار بمهام أخرى فيما بعد ، كارساله الى الكوفة مع الإمام الحسن (ع) لمنع واليه أبو موسى الأشعري عن تثبيط همم أهلها من الإلتحاق في منطقة النفير ، ذي قار ، التي كان الإمام ينتظر فيها قدوم مقاتلي الكوفة ، لحسم الموقف في البصرة ومهام أخرى عديدة.

بعد بيعة الإمام علي (ع) وتخلف بعض من المسلمين عنها ومنهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري كلف الإمام (ع) عمار بن ياسر كي يتكلم معهم حول

تخلفهم عن بيعته والخروج معه لمقاتلة الزبير وطلحة الذين أغريا عائشة للخروج معها على سلطة الخلافة ، ففعل ذلك ، فلم يلمس منهم الاّ تمسكهم بموقفهم " وأتى عمار بن ياسر وكلم محمد بن مسلمة الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص ليخرجا مع علي فأبيا إلاّ الإعتزال كما أبى ابن عمر ،فقال عليّ لعمار : دع هؤلاء الرهط. أما ابن عمر فضعيف ، وأما سعد فمحمود، وذنبي الى محمد بن مسلمة. إني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي"(4).

وكان الإمام علي (ع) قد أرسل زياد بن كميل النخعي ، صاحب الدعاء المشهور، الى عبد الله بن عمر بن الخطاب قبل أن يرسل عماراً الى سعد ومحمد يستحثهما للخروج معه لقتال الناكثين فاعتذرا عن الخروج " فبعث الى عبد الله بن عمر ، كميلاً النخعي ، وقيل بعث عماراً ، فجاء به . فقال انهض معي فقال : أنا مع أهل المدينة .انما أنا رجلٌ منهم ، وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلتُ معهم لا أفارقهم . فان يخرجوا أخرج ، وان يقعدوا أقعد " 5 وتلك والله كانت حجة واهية للتهرب مما يفرضه واجب الوقوف مع الشرعية .

وعندما انتهت معركة الجمل الى ما انتهت اليه وتبدد جيش عائشة والزبير وطلحة، أراد الإمام علي أن يستنفر أهل الكوفة ، وهم عدته وأنصاره ، لحسم عصيان معاوية في الشام ، لكن أبو موسى الأشعرى ، الذي كان والياً على الكوفة من قبل عثمان ولم يعزله الإمام عنها ، وكان الأشتر قد حبَّذ للإمام بقاءه والياً عليها ، كان يثبط الهمم ويدعو الى الوقوف بعيداً عن ما أسماه ((الفتنة)) أي التوجه نحو وأد عصيان معاوية طاعة الخليفة الشرعي والإمتثال لأمره بترك ولاية الشام التي طلبها

الإمام منه بعد الإنتهاء من أهل الجمل الذين تحشدوا في البصرة معلنين العصيان على الخليفة الشرعي، عندها أرسل هاشم بن عتبة الى الكوفة ليستنهض أهلها " كان علي رضي الله عنه وجه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ليستنهض أهل الكوفة وأردفه بابنه الحسن وبعمار بن ياسر،وفي وقعة صفين لنصر جاء فيه " إني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار ، حتى إذا كنت بالعُذَيب بعثت الى الكوفة بالحسن بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وعمار بن ياسر ، وقيس بن عبادة " (6) ، فساروا حتى دخلوا الكوفة وأبو موسى في المسجد والناس حوله وهو يقول : ((يا أهل الكوفة ! أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب (أصل العرب) يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف . أيها الناس : ان الفتنة اذا اقبلت شبهت ، واذا ادبرت تبينت . وإن هذه الفتنة الباقرة (الواسعة) لا يدرى من أين تأتي ولا من أين تؤتى "(7) ثم يستمر الأشعري في تثبيط الهمم فيدعو الناس الى التزام بيوتهم والإبتعاد عن الوقوف مع أحد ، بينما يجري التآمر على الخلافة الشرعية وتحطيم الدولة الإسلامية ، فجاء الإمام الحسن وعمار بن ياسر الى المسجد وأمرا الأشعري بالتخلي عن تلك السياسة التي تحطم المعنويات وتثبط الهمم، واستنفرا الناس ،وتقول مصادر التاريخ الأُخرى أن الأشعري لم يرعوي ويتراجع عن موقفه فبعث الإمام علي (ع) بمالك الأشتر الى الكوفة ، فحسم الموقف بالقوة ، فبعد أن وبَّخ الأشعري قام بطرده من دار الامارة بعد أن هدده بالقتل ، فكان أن بدأت حشود أهل الكوفة تتجه نحو منطقة ذي قار حيث كان الإمام ينتظرها هناك للإنتهاء من أهل الجمل ، وتلك الحادثة كانت تعطي صورة لنوع الرجال الذين كانوا يحيطون بالإمام وخصائص كل واحد منهم ، فعمار مثلاً

كان رجل سياسة ودبلوماسية وتبادل رأي ، لكنه كان حازماً في موقفه الثابت من نصرة الإمام ، بينما كان الأشتر يُنْدَب دوماً لحسم المواقف التي تحتاج الى القوة ، كموقفه الذي ذكرناه أو موقف آخر له عندما امتنع أهل الرقة من أن يجسروا جسراً للإمام عندما أراد أن يعبر نهر الفرات الى صفيّن ، فهددهم الأشتر بسبيهم وتخريب مدينتهم إن هم لم يجسروا للإمام ليعبر الفرات نحو صفين حيث يحتشد جيش العاصي ، فرضخوا صاغرين لأنهم كانوا واثقين من أن الأشتر سيخرب مدينتهم ويستحوذ على أموالهم إن لم يجسروا لجيش الإمام.

روى نصر بن مزاحم قصة مقاتل من جيش أهل العراق ،عندما كان الجيشان ، جيش الإمام علي ، وجيش معاوية يخوضان معارك شرسة في صفين ، تبيِّن المكانة التي كانت لعمار عند الإمام وطبيعة المهام التي كان ينيطها به ، فقد التبس على ذلك المقاتل الذي يسميه نصر,,المستبصر ,, ،وهي قصة توحي وتؤكد العديد من القضايا ،منها أن الإمام علي (ع) كان يعتبر عماراً مسؤولاًعن الإعلام في تلك المعركة وهو ما يمكن إعتباره وكأنه مسؤول التوجيه المعنوي ، ولا نقول مسؤول التوجيه السياسي سيء السمعة ، هذا اذا لم نقل أنه كان يمثل وزير اعلام الإمام ، وعندما كان الإمام يُسأل عن بعض القضايا التي تتصل بتشخيص الجانب الذي يمثل الحق ، بصورة خاصة ،فانه كان يحيل ذلك السائل الى عمار بن ياسر الذي يجيب عن تلك الأسئلة ، وثاني معاني تلك الرواية هو القائها الضوء على طبيعة النفس الإنسانية التي تهتز قناعاتها بالمظاهر دون الإستناد على القضايا الجوهرية ، ذات القيمة الهامة في تعيين المواقف وتثبيتها ، ففي الصفحة 320 من وقعة صفين لنصر بن

مزاحم جاءت الرواية تحت عنوان ..عمار والمستبصر .. ففي خضم المعركة جاء رجل يسأل عن عمار " أيكم عمار بن ياسر ؟فقال عمار بن ياسر : هذا عمار" ، فحكى ذلك المقاتل قصته لعمار وأنه قد دخل الشك في قلبه فجر ذلك اليوم عندما نودي للصلاة في جيش الإمام ونودي على الصلاة في جيش معاوية ، فسمع الرجل آذان القوم فلم يجد اختلافاً عن آذانهم "فتقدَّم منادينا فشهد ألاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ونادى بالصلاة ، وعندما شرع القوم يؤدون الصلاة ، لم تكن إلاّ صلاة واحدة ، فلم يكن بين القوم فرقٌ بيِّن ، مما اوقعه في حيرة من أمره، أيهم من كان على صواب من أمره ، ومَنَ مِنهم من يتوجب قتاله ، فلم ينم ليلته كلها مما أصابه من الشك ، فأتى أمير المؤمنين علي (ع) يسأله عن أمر ما أقلقه ، فقال له أمير المؤمنين " هل لقيت عمار بن ياسر " فقال الرجل بأنه لم يلتقه، فقال له أمير المؤمنين " فالقه فانظر ما يقول فاتبعه " وجاء الرجل يبحث عن عمار في وسط المعمعه ، ولما وجده ، وقد أحاط به رهطٌ من المقاتلين ، سأله أنه يريد أن يلتقيه لأمر شَغَلَهُ ويريد أن يحدثه به سراً أو علانية، ولم يكن لعمار وأمثاله من المؤمنين حاجة لأن يكتموا أمراً عن أحد، فليس لديهم ما يخفونه ، وبدأ يروي قصته، وبدأ عمار بالحديث مشيراً الى راية عمرو بن العاص في صفوف جيش معاوية، فقال للرجل " هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي فانها راية عمرو بن العاص ، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، وهذه الرابعة ما هي بخيرهنَّ ولا أبرهنَّ ،بل هي شرُّهن وأفجرهُنَّ " ثمَّ يسأل عمار الرجل فيما إذا كان قد شهد بدراً وحنيناً حيث كان عمرو بن العاص ومن يقف معه في ذلك اليوم يقفون على رايات الشرك ، في مواجهة

الرايات التي مركزها النبي ،ثمَّ يعلن عمار موقفه واضحاً صريحاً فيقول للرجل مشيراً لمعسكر معاوية " هل ترى هذا المعسكر ومن فيه ؟ فوالله لوددتُ أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطّعته وذبحته ". ويصل عمار الى ذروة حكمه على الفئة الضالة ليقطع الشك باليقين ، ليجيب عن التساؤل المركزي والرئيسي الذين كانا مثار تساؤل بعض الذين لم يكن ايمانهم ثابتاً ، وهو هل أن قتال جيش معاوية ودماء جنوده حلال فيقول عمار لذلك المستبصر " والله لدماؤهم جميعاً أحلُّ من دم عصفور " ويلتفت عمار رضوان الله تعالى عليه الى الرجل ويسأله السؤآل الحاسم " أفترى دَم عصفور حراماً ؟" فيجيب الرجل بأن دم العصفور حلال فيجيبه عمار ليبيِّنَ له تكليف دماء جنود معاوية وأنصاره وأن على جنود الإمام علي أن يقاتلوا وهم على ذلك التكليف " فانهم كذلك حلالٌ دماؤهم ، أتراني بينت لك؟" فيقول الرجل أن عمار قد بيَّنَ ذلك بوضوح ، وهمَّ أن ينصرف لكن عمار أوقفه كي يؤكد له أن ما من شيء سيمنعه من قتالهم حتى لو كانت الظروف تقف معهم وأنهم سيحققون بعض الإنتصار في تلك المعركة الطويلة " أما أنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون : لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا . والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذبابة (القذى : الرمد) . والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنّا على حق وهم على باطل . وأيمُ الله لا يكون سلماً سالماً أبداً حتى يبوءَ أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين ، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأنَّ قتلاهم في الجنة وموتاهم . ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن

موتاهم وقتلاهم في الجنة ، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار ، وكان أحياؤهم على الباطل" فلله درك يا أبا اليقظان من ثابت الجنان واضح الرؤى في ذلك الموقف الرهيب ، أنت مع ذلك الرهط من الأوفياء الذين كانوا مصممين على أن تنتهي معركة صفين النهاية التي كنتم تريدونها لها .

أما الدرس الثاني الذي نستخلصه من هذه الرواية فهو كم كان تأثير الدعاية التي يبثها معاوية بين صفوف أنصاره وأعدائه على السواء الى درجة أن أحد المقاتلين في جيش أهل الكوفة لم يكن يدرك أن الإمام علي (ع) لم يكن هو القائد الذي يقف الى جانب الحق وأن معاوية كان يقاتل على باطل وهو متاع الدنيا الذي تمنحه له ولاية الشام أو أن يصبح هو الخليفة بعد أن يحقق الإنتصار الذي يتمناه على الإمام، وكانت دعاية معاوية قد حولت أهل الشام الى درجة دنيا من الجهل حتى أصبحوا لا يفرقون بين الجمل والناقة ،بل أن جلهم قد أوصلهم الى الشك بأن الإمام علي لا يصلي وأن معاوية هو أكثر قرابة الى النبي من أي شخصٍ آخر

موقف قريش من عمار بن ياسر

مما لا شك فيه أن قريش التي لم تكن على وفاق مع القيم الجديدة التي أوجدها الإسلام،ولم يكن الدين الجديد قد وجد لديها قلوباً آمنت عن صدق وحق، فقد جاهدت تلك الثورة التي بدأت تباشيرها بالإتساع والنمو ، وبذلت كل ما تملك من قوة ونفوذ لصد ذلك التيار الجارف الذي بدأ يكتسح الجزيرة العربية ، فصبت جام حقدها وغضبها على الطليعة المجاهدة التي آمنت بالقيم الجديدة وناصرتها ونافحت مناوئيها ، وتحملت في سبيل ذلك شتى أنواع الأذى والقهر والظلم، وعندما انتصرت الدعوة

الجديدة إنتصارها المشهود في فتح مكة ، لم تكن قريش قد أقرت بتلك الهزيمة وعلى رأس قريش كان أبو سفيان الذي كان العدو الأول للدعوة الإسلامية الذي لم يخفِ عدم إيمانه بالدين الجديد ، فكانت قريش مرغمة على الإنحناء للعاصفة حتى تمر ويذوب زخمها وتيارها الجارف، والذي لم يكن ممكناً مقاومته تحت ظل الظروف الجديدة التي أفقدنها القدرة على الفعل ، الى حين حيث تتوافر الظروف والوسائل الملائمة لإحداث الإنحراف الذي يقود الدولة الجديدة الى الوقوع في الفخ الذي نصبته بإحكام،ولم تكن قريش لتنسى تلك الطليعة من المسلمين الأوائل من غير قريش ، من الذين ليست لهم قبائل ، أو أن قبائلهم كانت لا تضاهي ما تملكه قريش من قدرات معنوية ومادية، فقد استمرت قريش باحتقار هؤلاء ومنعهم في التقدم في سلم مسؤوليات الدولة الناهضة ، وعلى الرغم من أن النبي كان قد أطلق لقب الطلقاء على القسم الأكبر من قريش وعلى القسم الأكبر من شيوخها وأفرادها لقب ,,الطلقاء ,, للدلاغة على تخلفها في مجال الإيمان بالقيم الجديدة ، وإبعاد الكثير من زعمائها ، من بني أمية خاصة ،وعلى رأسهم الحكم والد مروان ، فإن قريشاً قد استعادت سيطرتها وأحكمتها على رقاب الدولة الجديدة ، ومن ثمَّ عادت الى ممارسة النهج عينه الذي كانت تنتهجه قبل هزيمتها في مكة ، فقد ظلت قريش تنعت عماراً بما يعيب ، فقد كانت قريشاً تنادي عماراً .. إ بن السوداء .. ليذكروا بلون أُمه الذي يدل على أصلها الحبشي الأسود دون أن يلتفتوا الى أن الإسلام لم يكن يعير لتلك الفوارق أية أهمية ، بل يشدد على التنكر لها وليربطوا اسمه بعبد الله بن سبأ الذي اخترعته قريش على أنه يهودي كان ينادي بأفضلية على على الصحابة

إمعاناً بالإساءة الى عمار بن ياسر الذي كان يوالي الإمام علي ويدافع عن حقه في الخلافة، وعندما أرسل عمر بن الخطاب عماراً عاملاً على الكوفة سنة 20 للهجرة مكان سعد بن أبي وقاص ،ثمَّ قدم عليه بعض أشرافها الى المدينة سألهم "كيف خلفتم عمار بن ياسر أميركم ؟ قالوا : سلم ضعيف فعزله " (8) بينما برأ الخليفة بن الخطاب المغيرة بن شعبة الثقفي واليه على الكوفة والذي اتهمه أهل الكوفة بإرتكاب الزنى وقد شهد قسم منهم عليه ،لكن الخليفة قد برّاه من تلك التهمة التي كانت تلتصق به بعد أن سألهم الخليفة فيما إذا كانوا شهدوا أن الميل قد دخل في المكحلة وهذا أمر لا يمكن إثباته إلاّ أن يأتي الشخص ويفحص بيده ليتأكد من أن الأمر قد تم مما يستوجب الإدانة وهو ما يقرب من المستحيل ،وللمغيرة بن شعبة ،وهو من علية الإستقراطية العربية ومن قبيلة بني ثقيف ذات السطوة والشهرة ومنها الكثير من البارزين والقادة بين العرب،من يدافع عنه ويتوسط له لدى الخليفة ،بينما عمار بن ياسر ليس له عشيرة تقف خلفه وتدافع عن حقه فإن الخليفة قدعزله عن ولاية الكوفة دون أن يتمعن في فحص التهمة التي وجهها له " وجوه من عرب الكوفة "،نعم لقد كان عمار قد نشأ في المدرسة التي هيأها النبي للخاصة من رجاله أمثال أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وآخرين فنشأوا تلك النشأة التي أحبها الله فكانوا يتعاملون مع الناس تلك المعاملة،كما أن بعض المؤرخين المحدثين يشير الى أن عبد الله بن سبأ ، الذي دارت حول الكثير من الخرافات ، هوعمار بن ياسر ، بعد أن عجز المفرضون من أن يثبتوا أن ابن سبأ ذلك كان حقيقة لا غبار عليها ، فألصقوه بعمار .

كما ورد في موضع آخر من هذا الكتاب أن الخليفة عثمان كان قد عزل عمار بن ياسر عن ولاية الكوفة وولى الوليد بن أبي معيط وكان أخو الخليفة لأمه ،وهو الذي اشتكاه أهل الكوفة الى الخليفة لأنه كان يشرب الخمر ولا يعير اهتماماً للصلاة التي كان يأم فيها المصلون وهو يعاني من السكر ،هذا بديل عمار الذي قال عنه النبي أنه قد ملؤ ايماناً من قمة رأسه حتى قدميه ،انها صورة لمبلغ الغبن الذي كان يلحق بالرهط الأول من المؤمنين بالرسالة الإسلامية وأخلصوا لها ،ألا أن عمار كان قد أجاب عندما سأله عمر بن الخطاب عن كيف هي الولاية وموقفه من عزله عنها " لقد سائتني الولاية وسائني العزل منها " وهو يظهر مدى عدم اهتمامه بالولاية عندما تم تعيينه لها لأنها قد تجلب غضب الله عندما لا يأخذ الإنسان الأمر على أنه تكليف إلهي ،لكن الذي اسائه أكثر هو أنه كان قدعزل دون وجه حق .

يتحدث الدكتور محمد عابد الجابري عن التحول الذي حدث بعد وفاة النبي واصفاً الوضع الذي تحولت فيه القيم التي جاءت في صدر الإسلام بأنه كان أقرب منه الى الإرتداد على تلك القيم ، خاصة في فترة خلافة عثمان، على أنه كان واضحاً لكل من يتتبع ما قاله بأنه لم يكن ليذكر الحقيقة كلها لأسباب كثيرة منها التأثيرات التي تتركها المؤسسة الدينية السعودية على النشاط الفكري في المغرب بصورة خاصة ،وهي تأثيرات تمتد الى مسافات بعيدة " والواقع أن غنائم الفتوحات ـ التي بلغت زمن عمر بن الخطاب من الكثرة والضخامة الى درجة أن العقل العربي في ذلك الوقت قد صعب عليه استيعاب أرقامها ـ قد أحدثت انقلاباً في حياة المسلمين بالعاصمة (المدينة) كما في حياة الولاة في الأطراف

(الأمصار) .لقد كان من نتائج الطريقة التي اعتمدها عمر بن الخطاب في توزيع الغنائم على أساس القرابة من النبي مع اعتبار " السابقة في الإسلام"،أن تكدست الثروات في أيدي بني هاشم وبني أمية إذ كان جل قادة جيوش المسلمين من قريش، وفي مقدمتهم بنو أُمية. أما أولئك الذين كانوا "لا قبائل لهم" من الصحابة الذين كانوا في الأصل عبيداً أو موالي أو من قبائل هامشية ، كعمار بن ياسر وأمثاله من "المستضعفين" الذين أُمتحنوا زمن الدعوة ، فقد كان نصيبهم من العطاء هزيلاً بالقياس الى "أشراف قريش" ، بما فيهم الطلقاء الذين لم يلتحقوا بالإسلام إلاّ بعد أن عفا عنهم النبي (ص) عند فتح مكة . "(9)،ويقتضينها هنا التنويه الى أن بني هاشم لم يتسلموا أي منصب في الدولة الجديدة حتى استلم الأمر الإمام علي(ع) زمام الخلافة، مستنداً في ذلك الى كونهم كانوا أحق من غيرهم لسابقتهم في الإسلام ، وتفقهم في الدين ،وليس لقرابتهم من الخليفة الجديد أو من النبي (ص)، إضافة الى حرمانهم المتعمد من تقلد أي مسؤولية في عهد الخلفاء السابقين ، ولم يكن الجابري ليضع اللوم على بني أمية وحدهم مما سيضعه موضع الإتهام بالتحييز فحشر بني هاشم كي يجعل الأمر مقبولاً .

ألاّ أن الأمور في عهد خلافة عثمان كانت قد وصلت الى غاية في الإبتعاد عن قيم الإسلام التي سار عليها الخليفتان من قبله ، ويواصل الجابري شرحه لما كان يجري في تلك الحقبة من تجاوزات أسست لكل الإنحرافات اللاحقة " وزاد في الطين بلّة كمايقولون،لين عثمان وإيثاره ذوي قرباه من الأمويين ، وعزله لكبار الصحابة من ولاية الأمصار والأقاليم وتعيينه لرجال "أحداث " من بني أمية مكانهم . ولم تكن

لكثير من هؤلاء سابقة في الإسلام ولا كانوا قد تمثلوا ذلك " النموذج الإسلامي " الذي ترسخ في وعي ولا وعي المسلمين الأوائل الذين عاشوا "تجربة التنزيل " في مكة"(10) ، ولقد بات واضحاً أن ذلك الرهط من المجاهدين الأوائل الذين كانوا يتحملون ما كانت تصبه عليهم قريش أبان الدعوة من عسف وظلم ،يعيشون في زمن الدولة حالة استضعاف ونكران واضح لموقعهم في حركة الدعوة " لقد ازداد الأغنياء غنى والأقوياء قوة ، ولكن المستضعفين لم تتحسن أوضاعهم بنفس النسبة، مما كان لابد أن يستنكره اولئك المستضعفون من الصحابة الأوائل . وهكذا أصبحوا يمثلون "الضمير الديني" وسط ذلك الوضع الدنيوي ، الممعن في " الدنيا "وثرواتها وترفها ونعيمها ، على حساب الدين وقيمه ومثله ، على حساب ,,الآخرة,, ، فرفعوا عقيرتهم بالإحتجاج ، لا تلومهم في الله لومة لائم . كان على رأس هؤلاء المحتجين المعترضين عبادة بن الصامت الأنصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمار بن ياسر وهو من أبرز قدماء "المستضعفين"هؤلاء"(11).

يبدو جلياً أن موقف عمار بن ياسر الذي لا يتزحزح من الإنحراف الذي كان يبدو واضحاً في عهد خلافة عثمان ،إضافة الى موقفه المآزر للدعوة النبوية قبل فتح مكة، هو الذي دفع بالإرستقراطية التي كانت تهيمن على أُمور السياسة والإقتصاد في مكة ، واستمرار سيطرتها بعد وفاة النبي (ص) ،الى اعتبار عمار وعصبته يشكلون خطراً على مشاريع الإستحواذ على الدولة الفتية ، والذي كان يجري تنفيذها على قدم وساق ، وفي كل الإتجاهات ، وبمختلف الطرق ،وعندما رفعوا قميص عثمان

وكانوا يطالبون زوراً بالقصاص من قتلته ،كان عمار بن ياسر هو المطلوب الأول من بين أعظم أنصار الإمام علي (ع) خطراً، مالك الأشتر النخعي، ذراع الإمام اليمنى ، محمد بن أبي بكر وآخرين .

لكن ما لاقاه عمار من سوء معاملة وعنت في خلافة عثمان بن عفان كان شديداً، فعندما بدأت ادارة الدولة بالإبتعاد عن القيم التي بدأها المسلمون في حياة النبي (ص) ، وحياة أبو بكر وعمر ، قرر عددٌ من صحابة النبي أن يرفعوا مذكرةً الى الخليفة عثمان ، يشيرون فيها الى الأمور التي أحدثها ، ويطالبونه فيها بالعودة الى ما ينسجم وروح الإسلام ، وحذروه بأنهم سوف لن يسكتوا في حال استمر الأمر على ما هو عليه غضب الخليفة عليهم كثيراً ، لكن الخليفة كان يستطيع أن يعاقب عمار لأنه لم تكن لديه قبيلة كبيرة تقف خلفه وتدافع عنه ، كما لدى الآخرين من الذين وقعوا على تلك المذكرة " ان المقداد بن عمر ، وعمار بن ياسر ، وطلحة ، والزبير في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كتبوا كتاباً عدوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربه ، وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع ، فأخذ عمار الكتاب وأتاه به ، فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعليَّ تقدم كم بينهم ؟ فقال عمار لأني أنصحهم لك . فقال : كذبت يابن سمية ! فقال :أنا والله ابن سمية وابن ياسر ، فأمر غلمانه فمدوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً ففشي عليه" (12) .

وفي رواية أُخرى يرد فيها تعذيب عمار بن ياسر على يد الخليفة عثمان لأنه اعترض على استحواذ عثمان على جواهر كانت في بيت المال ، أخذها عثمان وأعطاها لأهله دون وجه حق " أخذ عثمان جواهر من بيت

المال في ما روى البلاذري وقال : كان في بيت المال بالمدينة سفطٌ في حلى وجواهر ، فأخذ منه عثمان ما حلّى به أهله ، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه كلام شديد حتى أغضبوه ، فخطب فقال : لنأخذن حاجتنا من هذا الفيئ وان رغمت أنوف أقوام . فقال له علي : اذاً تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه ، وقال عمار بن ياسر : أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك ، فقال عثمان : أعليَّ يا ابن المنكاء تجترئ ؟ (المنكاء : العظيمة البطن ، البظراء المفضاة ، التي لا تمسك البول) خذوه ، فأُخذَ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غشي عليه " (13) .

ولأن عمار بن ياسر مجاهد معروف وزاهد بالدنيا وزخرفها ،فانه كان موضـــع ثقة الصحابة وإئتمانه على ما كانوا يوصون به ، وقد جلب ذلك لعمار بعض المشاكل مع السلطة الحاكمة التي كانت تريد أن يتم كل شيئ تحت سمعها وبصرها ومرجعيتهـــا،وقصة دفن الصحابيان ابن مسعود والمقداد بن الأسود الكندي هي واحدة من تلك الأحداث التي جلبت حقد السلطة عليه وكراهيتها له، فان ابن مسعود رضي الله عنه " كان قد أوصى أن يصلي عليه عمار ، ولا يؤذن به عثمان ففعل ، فلما أُخبر لعثمان] بذلك غضب عليه ولم يلبث حتى توفي المقداد فصلى عليه عمار ، وكان أوصى ليه ولم يأذن عثمان به ، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال : ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً " (14) .

وعبد الله بن مسعود قد لحقه من الخليفة عثمان ظلماً وحيفاً وحاربه في رزقه .. وقطع الأعناق ولا قطع الأرزاق .. كما يقول العرب قولهم الشائع ، جاء في الطبقات الكبرى لإبن سعد المجلد الثالث ص160 ما يؤكد ذلك " وكان عثمان قد حرم عبد الله بن مسعود عطائه سنتين ، فأتاه

الزبير فقال : ان عياله أحوج اليه من بيت المال ،فأعطاه عشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً " ، وكان عبد الله بن مسعود أميناً لبيت مال المسلمين في الكوفة وأمصار اسلامية أخرى سنين عديدة، لكنه خرج من الدنيا خالي الوفاض، بسبب الغبن الذي ألحقه به حكام زمانه وعدم تعاملهم مع الرعية في ميزان واحد ، ومنذ ذلك الزمان كان التعامل مع الرعية يجري بمعايير مزدوجة ، وليس مسغرباً أن يتعامل حكامنا مع شعوبهم بتلك المعايير .

لقد ظلت قريش تنادي عماراً ..ابن السوداء .. ولم يدخل في قلبها الإسلام بصدق، فظلت على عاداتها الجاهلية التي أراد الإسلام أن يقضي عليها ، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوى أو أسود وأبيض وأصفر إلاّ بصدق الإيمان وعمقه ، والتي كانت تشكل أعمدة القيم الجديدة التي نادى بها الدين الجديد ، لم تكن لتأخذ طريقها الى تلك القلوب التي تمتلئ بالحقد والإستئثار وانكار الآخرين ، ولم يكن يشفع لعمار ماضيه الذي يمتلئ بالتضحية والعطاء ،هو وأبوه وأمه شهداء الإسلام الأوائل ،وكان يسحب ويضرب حتى يغشى عليه جزاءً له على ذلك !!

جاء في أعيان الشيعة قصة أُخرى عن ظلم قريش لعمار بن ياسر " وكان عمار حليفاً لبني مخزوم ولهذا لمّا نال عثمان بن عفان من عمار ما نالوا من الضرب لإنتقاده ولاة عثمان حتى إنفتق له فتقٌ في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، اجتمعت بنو مخزوم وقالوا لئن مات عمار لنقتلن به أحداً غير عثمان .

وسبب ذلك أن عثمان بن عفان أرسل رجالاً يتحرون العمال - عمال عثمان في الأمصار الإسلامية - ومنهم عمار الى مصر ،فعادوا يمتدحون الولاة الاّ

عماراً إستبطأه الناس حتى ظنوا أنه أُغتيل ، فلم يفاجئهم الاّ كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وهو أخو عثمان من الرضاعة ، يخبرهم أن عماراً قد استمال قوم بمصر وقد انقطعوا اليه ، فكان تصريح عمار بالحق سبب اعتداء غلمان عثمان عليه ، ولم يمنعه ذلك أن يجاهر بالحق ويذكر مظالم والي مصر عبد الله بن سعد المذكور ، فصدق عليه أنه ممن لا تأخذه لومة لائم في سبيل الحق ، وهو أول من جاهر فيه ، ولم يداهن الولاة ، ولم يبالِ بطشهم ، فكان أول ..مفتش إداري .. مخلصٌ.(15)

لقد ذكر الطبري أسماء بعض من أرسلهم عثمان الى الأمصار الإسلامية ، لكن ما يثير العجب أن الذين ارسلوا لتحري أوضاع ولاة عثمان وحالة جماهير المسلمين تحت امرتهم ، لم يذكروا شيئاً عن تجاوز اولئك الولاة على الرغم من أن الإنتفاضات كانت تعم العديد من تلك الأمصار ، الكوفة ، ومصر بصورة خاصة " محمد بن سلمة الى الكوفة ،وأرسل اسامة بن زيد الى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر الى الكوفة ، وأرسل عبد الله بن عمر الى الشام ، وفرق رجال سواهم " (16).

كثر ترديد مصطلح . المستضعفون ، وتردد في القرآن الكريم . المستضعفون في الأرض . عدة مرات ، وعمار بن ياسر وعدد آخر من المسلمين الأوائل من فقراء مكة من الذين ينطبق عليهم ذلك التعريف ، وقد جلب الإسلام الى صفوفه تلك الطبقة من مجتمع مكة لأنها رأت في الدين الجديد أملها في الخلاص من العبودية والظلم الذي كانت تصبه عليها طبقة المترفين والمتنفذين من قريش وطواغيتها ، ويقدم ابن سعد في طبقاته الكبرى تحليلاً للمجتمع المكي وطبقاته فيقول عن طبقة

المستضعفين في مجتمع مكة " والمستضعفون الذين يعذبون بمكة ليرجعوا عن دينهم، قال محمد بن عمر : والمستضعفون قومٌ لا عشائر لهم بمكة وليست لهم منعة ولا قوة، فكانت قريش تعذبهم في الرمضاء بأنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم"(17) فكانوا يساقون على مرأى من الناس ويعذبون عذاباً شديداً على أيدي دهاقنة الكفر التي تخلو قلوبهم من الشفقة والرحمة وها هو عمار يكشف عن جسده الذي كانت سياط الطغاة قد تركت فيه أثرها من التعذيب " عن محمد بن كعب القُرَضي قال : أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرداً في سراويل قال : فنظرت الى ظهره فيه خَبَطٌ كثير ، فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا مما كان تعذبني به قريش في رمضاء مكة " . (18) ثم يستطرد ابن سعد ليروي تفاصيل أكثر عن التعذيب الذي كانت قريش تصبه على عمار وأهله " عن عمر بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار قال : فكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، يمر به ويُمِرُّ يده على رأسه فيقول : يا نار كوني برداً وسلاماً كما كنت على ابراهيم ، تقتلك الفئة الباغية"(19)

.

هوامش الفصل الفصل الثاني

(1)مراقد المعارف الجزء الثاني ، ص105

(2): أُبرد برؤوسهم : أي قطعت وأرسلت في البريد : ويبدو أن القوم قد اتخذوا قطع رؤوس من يختلف معهم سنة وتراثاً ، كان ممتداً الى يومنا هذا الذي نقف فيه على أبشع الصور في قطع الرؤوس ، حيث يعتقد هؤلاء أن الإسلام لا يمكن أن ينتصر بالحجة التي تقرع الحجة ، بل أنه انتصر بقطع الرؤوس وحدها ، وعندما أقلع المسلمون عن تلك السنة الحميدة !! ، ضاعت منهم فلسطين والإسكندرونة، وأُحتلت الأرض و.. إنا لله وانا اليه راجعون ...

(3) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ، ص 392.

(4) الإمام علي بن أبي طالب ،محمد رضا ، ص 70 .

(5)الإمام علي بن أبي طالب ، محمد رضا ، ص 69 .

(6)معركة صفين ، نصر بن مزاحم ،ص15.

(7)الإمام علي ، محمد رضا ، ص 81 .

(8) تاريخ اليعقوبي ،المجلد الثاني ، ص47، حوادث سنة 20 للهجرة

(9) العقل الأخلاقي العربي ، د. محمد عابد الجابري ،ص62.

(10) العقل الأخلاقي العربي ، د . محمد عابد الجابري ، ص62.

(11)نفس المصدر ،ص63.

(12) أنساب الأشراف ، 49/5 .

(13) نفس المصدر ، ج5 ص 48.

(14) تاريخ الطبري ، ج4 ص340.

(15) تارخ اليقوبي ، ج2 ص171.

(16) أعيان الشيعة مجلد /8 ص374.

(17) الطبقات الكبرى لإبن سعد مجلّد / 3 ص248.

(18) نفس المصدر .

(19) نفس المصدر

الفصل الثالث

دور الإعلام الأموي في قلب الحقائق

مما لا شكَّ فيه أن للإعلام دور خطير في حرف الأذهان،وقلب الحقائق،ومن ثمَّ التأثير على أفكار الناس،وجعلهم يتخذون مواقف معينة مما يجري على الساحة من أحداث هامة،قديماً وحديثاً،وقد أمكن التأكد من عمق الأثر الذي تركته الدعايات التي اطلقتها دوائر متخصصة في كل الحروب التي شهدها العالم،ومنها منطقتنا،وكان الهدف الرئيسي لتلك النشاطات،جعل الخصم يقع تحت تأثير دعاية الطرف الآخر،وضمان أن تكون مصادر القوة لدى ذلك الطرف محمية من تأثيرات الدعاية التي يطلقها الطرف الآخر، ولا يهم بعد ذلك أن تكون تلك الدعاية بعيدة كل البعد عن الواقع ومجريات الأحداث اليومية،فالسعي كان دائباً في أن يتمكن الخصم من تحويل هزائمه الى إنتصارات،والتعتيم على انتصارات العدو، وفي الحرب التي نشبت بين جيش الإمام علي(ع) وجيش معاوية كان للإعلام مساحة كبيرة فيها، وكان معاوية بارعاً في استخدام ذلك السلاح،واعتماد كل الأساليب التي تحقق له ما يرجوه منها، خاصة وأنه لم يكن يهتم بشرعية تلك الوسائل والأساليب ومدى تطابقها مع الحقائق وجوهر تعاليم الإسلام، فالكذب وتحريف الحقائق وليِّها كي تلائم أهدافه كانت تجري على قدم وساق ، لقد كان شعار .. الغاية تبرر الوسيلة .. هو الشعار الذي رفعه معاوية وسار متمثلاً به قبل أن يفعل مكيافيلي ذلك بمئات السنين كما سار عليه الحكام الذين تعاقبوا على حكم الأقطار الإسلامية دون تغيير بل انهم ساروا على أعقاب أسلافهم وكأنهم يعيشون معهم في بيت واحد.

وقد اتخذت جهود معاوية الإعلامية مضامين وطرق في مرحلتين مختلفتين من الصراع للسيطرة على الدولة الإسلامية،المرحلة الأولى قبل

مقتل عثمان والتي جرى فيها تسلط الأمويين بدعم من عثمان، على اعتبار أنهم أهله وعشيرته، اما في المرحلة الثانية ، وهي التي تلت مقتل الخليفة، فقد تركزت الدعاية الأموية على اشاعة فكرة، بين أهل الشام، مفادها و محتواها أن الإمام علي وجيشه كفرة، يمنعون الصلاة والصوم، وعليه فان قتالهم هو دفاع عن دين الإسلام، فيبث الحمية فيهم.

مرحلة حكم الخليفة عثمان

وهي مرحلة سيطرة معاوية على الشام بصورة كاملة، فقد وضع عينه واذنه وقلبه على الوضع السياسي والإجتماعي في الشام، وبذل الجهود الحثيثة لمنع انتشار أي دعاية أو فكر مخالف لسيطرته وتسلطه عليها، وكان حريصاً أشد الحرص على اتخاذ كل ما من شأنه أن يمنع أي صوت يظهر في الشام يدعو المسلمين الى رفض سيطرة بني أمية على الشام، وقد أعاد معاوية الكثير ممن نفاهم عثمان الى الشام، من المدينة أو العراق، من الرافضين للسيطرة الأموية على الدولة الإسلامية التي أصبحت نهباً وبستاناً لهم ولقريش، وكان أن تحول أهل الشام الى مجموعات من الناس يسود بينهم الجهل فسهل أمر السيطرة عليهم، حتى أصبح الشامي لا يفرق بين الناقة والجمل، ومن الأحداث الشاهدة على ذلك النهج حدثين هامين، أولهما أن معاوية كان قد طلب من عثمان اعادة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الى المدينة، بعد أن نفاه منها الى الشام لأنه كان قد شكل مصدراً خطيراً لبث الأفكار التي يطلب فيها من المسلمين رفض التسلط والوقوف بحزم ضده ، وكان ينادي بها بأعلى صوته في الأسواق والمساجد وأماكن التجمعات لإشاعة تلك الأفكار والمفاهيم، وقد شكّل خطراً كبيراً على معاوية وهيمنته وتصرفه في مال المسلمين، وكان أن أعاده عثمان الى المدينة ثم عاد ونفاه الى الربذة، فمات

فيها وحيداً، وهو ما دفع الكثير من المسلمين الى استنكار ذلك الأمر،ومن ثمَّ شكل فيما بعد من اسباب النقمة على عثمان والثورة عليه.

وصلت الأخبار أن أبا ذر يذكر عثمان بسوء فنفاه الى الشام ، ليضعه تحت عين معاوية ، لكن أبو ذر لم يتراجع عن العهد الذي قطعه على نفسه في فضح استئثار وتسلط بني امية على ثروات الأمة ومقاليدها دون أن يراعوا حق وذمة لأحد ، واستمر في أن يأخذ على عاتقه أن يصبح لسان المحرومين والفقراء" وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غيَّر وما بدَّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر،فسيره الى الشام الى معاوية، وكان يجلس ، في المسجد ، فيقول كما كان يقول ويجتمع اليه الناس ، حتى كثُر من يجتمع اليه ويسمع منه ، وكان يقف على باب دمشق،اذا صلى صلاة الصبح فيقول : جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له"(1).

بعد أن كاد أبو ذر أن يحدث شرخاً في أذهان وأفكار أهل الشام ويكثر من يرتادون مجلسه ويزدادون ، حتى أصبح أبو ذر وحده أمة، أحس معاوية بالخطر الذي قدم اليه من المدينة والذي سيسبب له صداعاً لن يجد له علاجاً إلاّ باعادته الى من أرسله، وتدارك طاغية الشام الأمر فكتب الى عثمان " إنك أفْسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب له أن إحمله فتب (الرحل) بغير وطاء (عكس الغطاء) فقدم الى المدينة ،وقد ذهب لحم فخذيه، فلما دخل اليه وعنده جماعة قال : بلغني إنك تقول : سمعت رسول الله يقول : إذا كملت بنو أُ مية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولاً (عبيداً)،ودين الله دغلاً (ما يدخل في

الأمر يخالفه ويفسده ويزرع الشك فيه، والدغل نوع من النبات ينمو مع المزروعات فيفسد عليها نموها) ، فقال نعم ! سمعت رسول الله يقول ذلك ،فقال لهم أسمعتم رسول الله يقول ذلك ؟ فبعث الى علي بن أبي طالب ، فأتاه ، فقال : يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر ؟ وقصَّ عليه الخبر ، فقال علي : نعم ! قال وكيف تشهد ؟ قال : لقول رسول الله : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر. فلم يقم بالمدينة الا أياماً حتى أرسل اليه عثمان : والله لتخرجن عنها ! قال أتخرجني من حرم رسول الله ؟ قال : ، نعم وأنفك راغمٌ . قال : فالى مكة؟ قال : لا ! ولكن الى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها. يا مروان أَخرجه ، ولا تدع أحد يكلمه ، حتى يخرج "(2)، والذي يبدو وأضحاً أن خطة القضاء على الصحابي الشهيد أبو ذر الغفاري كانت قد أُحكمت بدقة ، ففيها اصرار على ابعاده الى منطقة لا يسكنها أحد ، حتى يمكن التخلص من تأثيره وازعاجه للطغمة الأموية المتسلطة، حتى يموت هناك وحيداً دون أن يثير ذلك أية ضجة أو إحتجاج، وهذا ما حدث لاحقاً فقد مات أبو ذر وحيداً في الربذة (3) الا من ابنته التي ظلت تنتظر من كان أبيها قد أخبرها بأنهم قادمون اليه لدفنه ، وقد وصل الأشتر وعدد قليل من المؤمنين الذين ارتاعوا لموت صاحب رسول الله وحيداً ، فدفنوه ، ووصية عثمان لأبن عمه مروان أن يمنع أبي ذر من التكلم مع أي أحد توضح مدى الخطر الذي كان يحسه الأمويون من قوة الكلمة التي تستند الى الحق التي كان أبو ذر يرفع لوائها، وقد استعجلوا أمر اسكات ذلك الصوت الهادر الذي كان أبو ذر يطلقه دون أن يهاب قوة السلطة وقدرتها على الفتك وكتم الأنفاس،وكل ما تملكه من قوة

وأساليب ترهيب وترغيب ، ولا غرابة أن نرى أحفاد أولئك الطغاة يعمدون الى اسكات كل الأصوات الحرة التي تدعو الى رفض الظلم والتجبر وتوعية الناس وجعلهم يقفون على حقائق الأُمور وتحصينهم ضد حملات التجهيل والظلامية ، فكم من الصحفيين قد دفع حياته ثمناً لحرية الكلمة ، وحرم من لقمة العيش هو وعائلته ، أو يصبح بوقاً للطغاة والقتلة ، وكم بددت من الأموال على شراء الذمم والصحف الصفراء وكم قطعت ألسنة عدد من الناس الذين قيل أنهم قد ذكروا الحاكم بسوء أو بشيئ لا يرضاه وقد أُعتبر ذلك محرماً بل وجرماً أي جرم، كي تبقى وجوه الطغاة والجبابرة محتفظة بما يجعلها قادرة على اللمعان والبريق أمام الجماهير،وكم من الوعاظ قد باع ضميره في غابر الأزمان الى سلطان جائر وبأثمان بخسة لا ترتجي سوى عرض الدنيا الزائل، فما أشبه اليوم بالبارحة .

مرحلة ما بعد الخليفة عثمان

فلقد بذلت جهود حثية لجعل جيشه يصدق أن جيش الإمام لا يصلي أو يصوم بل أن قسم من أهل الشام كان يعتقد أن الإمام علي لا يصلي،وذلك كي يقاتل أهل الشام بكل ما لديهم من قوة جيشاً كان قتاله واجباً،وكي يصبح ذلك القتال مشتملاً على مضامين عقائدية لا مرد عنها، "ان أعداء علي رضي الله عنه لم يتركوا وسيلة لإغراء الناس وتحريضهم على قتاله إلاّ اتخذوها ولا تهمة الا أذاعوها ولا كذباً الا افتروه. ولم يكتفوا بأن ادعوا انه قاتل عثمان رضي الله عنه،بل نشروا أن علياً وأصحابه،وهم أصحاب رسول الله(ص) المعروفون بالصلاح والتقوى،لا يصلون ولذلك وجب قتالهم..!!،ففي احدى جولات معركة

صفين عندما كان هاشم المرقال يقود مجموعة من أصحاب الإمام، خرج فتى من جيش معاوية كان يقاتل بضراوة وبسالة"ثمَّ يشد فلا ينثني حتى يضرب بسيفه،ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام فقال له هاشم بن عتبة:((ياعبد الله ان هذا الكلام بعده الخصام،وان هذا القتال بعده الحساب:فاتق الله،فإنك راجع الى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به)). قال الشاب: ((فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي، وأنتم لا تصلون أيضاً)) "(4).

كان معاوية يحرص حرصاً شديداً على منع اختلاط أهل العراق من جيش الإمام علي(ع) بجيشه خشية أن يؤثروا فيه،ولأنه لا يثق بانه قادر على تحصينه من الدعاية المضادة ،لقد أدرك معاوية بأن جيشه سريع العطب لذا حرص حرصاً شديداً على منعه من الإحتكاك على أمل منع تسرب الأفكار المضادة،وعندما شعر ،في معركة صفين، أن وجود ابن عم لعدي حاتم الطائي،لا يوازى به رجلٌ آخر لقدرته على الإقناع، قد جاء جيشه بيث أفكاراً مختلفة لما دأب هو عاى بثه ، أمربإخراجه من جيشه"قام عدي بن حاتم الى علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين،إن عندي رجلاً من قومي لا يجارى به،وهو يريد أن يزور ابن عم له،حابس بن سعد الطائي،بالشام فلو أمرنا أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسرَ أهل الشام،فقال له علي : نعم،فمره بذلك وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله . فقدم على ابن عمِّه حابس بن سعد بالشام،وكان حابس سيد طيِّئ فحدث خفاف حابساً أنه شهِد عثمان بالمدينة،وسار مع علي الى الكوفة،وكان لخفافٍ لسانٌ وهيئة وشِعر،ففدا حابس وخفافٌ الى معاوية، وهو ثقة. فقال له معاوية : هات يا أخا طيئ ، حدِّثنا عن عثمان

قال : حصره المكشوح، وحكم فيه حُكَ، ووليه محمد وعمار، وتجرد في أمره ثلاثةُ نفر : عدي بن بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمر بن الحمق، وجد في أمره رجلان، طلحة والزبير وأبرأ الناس منه عليقال : ثمَ مه ؟ قال:ثم تهافت الناس على علي تهافت الفراش، حتى ضلت النعل(أي ضاعت النعل) وسقط الرداء،ووطئ الشيخ،ولم يذكر عثمان ولم يذكر له،ثم تهيأ للمسير وخفَّ معه المهاجرون والأنصار،وكره القتال معه ثلاثة نفر سعد بن مالك،وعبد الله بن عمر،ومحمد بن سلمة، فلم يستكره أحداً، واستغنى بمن خف معه عمن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طيء،فأتاه منا جماعة كان ضارباً بهم الناس،حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة،فسرح رجالاً الى الكوفة فأجابوا دعوته،فسار الى البصرة فهي في كَفِّه(أي سقطت في كفه)،ثم قدم الى الكوفة،فحُمل اليه الصبي، ودبَّت اليه العجوز،وخرجت اليه العروس فرحاً به،وشوقاً اليه،فتركته وليس همُّه إلا الشام.

فذعر معاوية من قوله، وقال حابس : أيها الأمير لقد أسمَعَني شعراً غير به حالي في عثمان،وعظَّم به علياً عندي،قال معاوية :أسمِعنيه يا خفاف. فأسمعه قوله شعراً :

قلت والليل ساقط الأكنافِ ولجنبي عن الفراش تجافِ
أرقب النجم مائلا ومتى الغمض بعينٍ طويلة التذرافِ
ليت شعري وإنني لسؤولٌ هل لي اليومَ بالمدينة شافِ
من صِحاب النبيِّ إذ عظم الخط بُ وفيهم من البريَّة كافِ

أحلالٌ دمُ الإمام بذنب ... أم حرامٌ بسـنّة الوقّافِ
قال لي القومُ لا سبيل الى ما ... تطلبُ اليوم قلت حسبُ خُفافِ
عند قومٍ ليسوا بأوعية العلم ... ولا أهلِ صِحَّةٍ وعفـافِ
قلت لما سمعتُ قولاً دعوني ... إن قلبي من القـلوب الضِّافِ
قد مضى ما مضى ومرَّ به الد ... هر كما مر ذاهبُ الأسـلافِ
إنني والذي يحجُّ له النـ ... ـسُ على لُجِّ البُـطون العجافِ
تتبارى مثل القِسسِّ من النب ... ع بشعثٍ مثل الرِّصاف نِحافِ
ارهب اليـومَ، إن أتاك عليٌّ ، ... صيحةً مثل صيحة الأحقافِ
إنه الليث عاديـاً وشجاعٌ ... مُطرِقٌ نافثٌ بسمٍّ زُعـافِ
فارس الخيل كلَّ يـومٍ نزالٍ ... ونزال الفتى من الإنصـافِ
واضعُ السَّيفِ فوق عاتقه الأيم ... ن يذرى به شؤون القحـافِ
لا يرى القتل في الخلاف عليه ... ألفَ ألفٍ طانوا من الإسرافِ
سَوَّم الخـيل ثم قـال لـقومٍ ... تابعوه الى الطِّعان خِفـافِ
استعِدُّوا لحرب طاغية الشـا ... م، فلبوه كالبنينَ اللِّطـافِ
ثم قالوا أنت الجناح لك الـر ... يش القدامى ونحن منه الخوافي
أنت والٍ وأنت والدنا الـسب ... رُّ ونحن الفداةَ كالأضيـافِ
ورى الضيف في الديار قليلٌ ... قد تركنا العراق للإتحـافِ
وهُم ما هُمُ إذا نشِب البـأ ... سُ ذوو الفضل والأمور الكوافي
ونظر اليوم قبلَ نادية الـقوم ... بسلـمٍ أردت أم بخـلافِ
إنَّ هذا رأي الشفيق على الشا ... م ولولاه ما خشـيت مشـافِ

فانكسر معاوية وقال : يا حابس، إني لا أظن هذا إلا عيناً لعلي، أخرجه عنك لا يفسد أهل الشام. وكنى معاوية بقوله. ثم بعث اليه

بعدُ فقال : يا خُفاف، أخبرْني عن أمور الناس فأعاد عليه الحديثَ، فعجب معاوية من عقله وحُسنِ وصفه للأمور"(5).

ولقد أحس معاوية بمبلغ الأثر الذي يمكن أن تتركه الدعاية وتناقل الأخبار على أهل الشام عندما يدركوا الحقيقة، وقد حدث أن خرج من جيش معاوية في صفين من انكشفت الحقيقة أمام عينيه، فقد جمع ذي الكلاع ،وهو من أشد أنصار معاوية، بين عمر بن العاص وعمار بن ياسر للتأكد من حديث النبي حول مقتل عمار، فقال ذي الكلاع انه سمع عمرو يقول ((أنه سمع رسول الله (ص) وهو يقول لعمار بن ياسر : يقتلك الفئة الباغية))فسمعه عبد الله بن عمر العنسي، وكان من عباد أهل زمانه، فترك معسكر معاوية ليلاً الى معسكر الإمام علي، وأخذ يتحدث عن ما سمعه من قول عمرو بن العاص في عمار، وقال الجرشي أحدشعراء العراق في ذلك شعراً:

ما زلت يا عمرو قبلَ اليوم مبتدئاً تَبغي الخصوم جهاراً غيرِ إسرارِ
حتى لقيت أبا اليقظان منتصباً لله درُّ أبي اليقظان عَمار
ما زال يَقرَعُ منك العظم منتقياً مُخَّ العظام بنزعٍ غير مكثار
حتى رمى بك في بحرٍ له حَدَبٌ تهوى بك الموج ها فاذهب الى النار

وقال شاعرٌ آخر من أهل العراق يهجو عمرو بن العاص :

والراقصات بركبٍ عامدين له ان الذي جاء من عمرو لمأثور
قد كنت أسمعُ والأنباء شائعةً هذا الحديث فقلت الكذب والزُّورُ
حتى تلقّيتُه عن أهل عيبته فاليوم أرجعُ والمغرور مغرور
واليوم أبرأ من عمرٍو وشيعته ومن معاوية المخْدوع به العير

لا لا أُقاتل عَمّاراً على طمعٍ بعد الروايـة حتى يُنْفَخ الصـــوّرُ
تركت عمراً وأشياعاً له نُكُداً إني بـتركهـم يا صـاحِ مـعذورُ
يا ذا الكلاع فَدَعْ لى معشـراً كفـروا
أوْ لأَفدينـــُك عيـنٌ فيـه تعـــزيرُ
ما في مقال رسول الله في رجلٍ شكٌّ ولا في مقـال الرُّســل تحبـيرُ

فلما سمع معاوية بهذا القول بعث الى عمرو فقال : أفسدتَ عليَّ أهل الشام،أكلَّ ما سمعت من رسول الله تقوله ؟ فقال عمرو : قلتها ولست أعلم الغيب ولا أدري أن صفين تكون" . (6)

كان معاوية يمتلك قدرة لا تدانى في التحريف والمغالطة، فعندما قتل عمار بن ياسر في صفين وقد كان النبي قد أخبره بأنه تقتله الفئة الباغية،وكان عمر بن العاص قد أخبره خبر ذلك الحديث عن النبي فقال له مؤنباً وعاتباً على نشره ذلك الحديث بين جيش الشام((انك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك(تفحص فيه وتحرك رجلك) أوَ نحن قتلنا عماراً؟لمن جاء به)) 71)

وكان معاوية يقصد من قوله ذلك ان الذي قتل عماراً هو الذي حمله على القتال وذلك هو أمير المؤمنين (ع) ،فيكون طبقاً لذلك التفسير المتجني أن الإمام وجيشه هو الفئة الباغية ،وهذا ذروة التعسف في التأويل الذي ابتدعته العقلية المنحرفة كي يتخلص من الحديث الذي يتداول حتى بين جيشه،ولما وصل الخبر الى الإمام : ((قال ان كنت أنا قتلته فالنبي (ص) قتل حمزة حين أرسله الى قتال الكفار)) (8) وما أبلغ رد الإمام على معاوية.

كانت امنيات معاوية أن يتخلص من اثنين من قادة الإمام علي البارزين وهما مالك الأشتر وعمار بن ياسر وقد جهد في تحقيق ذلك الى أن تمكن من ذلك " ولما بلغ معاوية موته - مالك الأشتر - قام خطيباً ، فقال : أما بعد ، فانه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت احداهما يوم صفين - وهو عمار بن ياسر - وقطعت الأُخرى اليوم ، وهو مالك الأشتر النخعي"(9).

لقد حوَّل معاوية الشام الى قفص حجر فيه المسلمين من أهلها ، يمنع عنهم كل ما يمكن أن يغير قناعاتهم وأفكارهم حتى أصبح ((أهلها لا يفرقون بين الجمل والناقة))،وكان أهل الشام وبفضل سياسة التعتيم الإعلامي التي كان ينتهجها معاوية ،لا يعلمون أن للنبي الكريم (ص) أقارب غير البيت الأموي الذي يسيطر على الشام سيطرة مطلقة حتى حول الحكم فيها الى دولة كسروية.

لقد وعى كل الطغاة وعلى مد العصور والأزمان أهمية الإعلام وتأثيره الكبير على الجماهير،فكان غوبلز وزير اعلام هتلر يمثل طليعة الأدوات التي استخدمها الطغاة في العصر الحديث لحرف أفكار الشعوب وتخديرها وسلبها وعيها وقدرتها على تمييز الغث من السمين من ما تتلقاه من سيل جارف من المعلومات، ولم يهمل صدام حسين الإعلام الذي صرف من أجله الأموال الطائلة، فكان أن حرم الشعب العراقي من تلقي أي اعلام آخر، وحاول جاهداً أن يضع الشعب في دائرة اعلامه الكاذب الممل، وأخذت أجهزة أمنه وحزبه تتلصص على الشعب الذي كان يحاول أن يتصل بأي وسيلة اعلام في الإتجاه الآخر، فوضع العقوبات الشديدة على كل من يتنصت على الإذاعات الأجنبية،أويحاول أن يحصل على

صورة من محطة تلفزيونية أُخرى، وراقب هوائياتها بكل الطرق والوسائل، وأغدق من أموال الشعب على الصحف المأجورة والإذاعات التي كان يشتريها ومحطات التلفزيون التي كانت تهب شرفها وذمتها لكل من يدفع لها أكثر وجند طوابير من الكتاب أشباه المثقفين يقفون طوابير لا تنتهي لقبض المال السحت، يمجدون الطاغية ويؤلهونه، يبذلون الجهود التي لا تهدأ ما دام المال مستمراً في الإغداق ليحولوا ولو وهماً عصره الظلامي الى عصرٍ ذهبي يرفع على تابوت الموت الدائم، ونجح في حدود كبيرة في تجهيل أوساط كبيرة من الشعب العراقي بفضل ذلك الجمع من الإلاميين الذين كانوا يحرفون كل شيئ حتى أن الطاغية قد أطلق على العاملين في الإعلام والأجهزة التي تنبح ليل نهار من أجل أن تظهره البطل المنتصر الذي يقود الأمة العربية نحو مجدها الغابر أطلق عليهم الفيلق الخامس تعبيراً عن مبلغ الجهود التي كان أذنابه يبذلونها لتلميعه وحفظ هيبته.

هوامش الفصل الثالث

(1) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، ص68.

(2) نفس المصدر ، ص68

(3) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، الجزء الثالث ص24 الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات غرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه÷واسمه جُندب بن جُنادة ، وكان قد خرج اليها مغاضباً لعثمان بن عفان رضي الله عنه ،فأقام بها الى أن مات في سنة 32.

(4)الإمام علي بن أبي طالب، محمد رضا ،ص150.

(5) وقعة صفين،نصر بن مزاحم،ص68 .

(6)نفس المصدر،ص343.

(7) الإمام علي، محمد رضا ،ص147 .

(8) نفس المصدر ،ص148.

(9) الغارات ،ابن هلال الثقفي ،ص 169.

الفصل الرابع

جهاد عمار بن ياسر

1 . جهاد عمار مع النبي (ص) .

2 . جهاده في حروب الردة

3 . جهاده في حروب الفتح الإسلامي .

4.معركة الجمل .

5 . معركة صفين .

جهاد عمار بن ياسر مع النبي

مما لا شك فيه أن جهاد عمار بن ياسر لم يتوقف منذ يوم أن أسلم في دار الأرقم مع ثلّة من المسلمين الأوائل حتى يوم استشهاده ، وأن حياته كانت نموذجاً للمؤمن الحقيقي والتي وهبها دون تردد من أجل نصرة الحق وانتصاره ،والوقوف بوجه الظلم وجبابرة عصره أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب ، فكان أهله أُمه وأبوه أول شهداء الإسلام في فترة ظهوره الأولى التي وقفت فيها قريش بجبروتها وطغيانها أمام تلك الدعوة الفتية بكل قوتها ، مستخدمة كل ما يقع في أيديها من أساليب العنت والزجر والتعذيب ، وقد لاقى عمار رضوان الله عليه من تلك الأساليب الكثير ، وعذب تحت رمضاء شمس مكة حتى أُجبر على البراءة من النبي والإسلام لشدة ما ذاق من التعذيب ،مما أضطره على الهجرتين ،الأولى الى الحبشة والثانية الى المدينة قبل أن يحقق المسلمون انتصارهم الناجز على الكفر بدخولهم مكة المكرمة فاتحين .

لم يتردد اسم عمار بن ياسر في حروب النبي كثيراً . ولكن يفترض أنه كان من المشاركين فيها كلها ،فهجرته الى المدينة كانت مع الموجة الأولى من المهاجرين ، وقد سبق النبي (ص) في هجرته اليها ،كما يُذكر بأنه رضوان الله تعالى عليه، كان قد شارك في بناء أول مسجد بُنِيَ في الإسلام، مما يفترض أيضاً أنه قد شارك في كل المعارك التي دارت بعد هجرة النبي الى المدينة ، وقد ذكر الواقدي في مغازيه أن النبي الكريم (ص) قد آخى بين عمار وأبي حذيفة ، مما يستنتج منه أن عماراً كان قد شهد بدراً ، لأن عقد التآخي بين المسلمين قد أنجزه النبي قبل معركة بدر.

وفي رواية أخرى ، يؤكد الواقدي مرة أُخرى في مغازيه ما سلف ذكره، ويذكر عدداً من أصحاب الرسول ممن شاركوا في معركة بدر ، كان من بين من ذكرهم عمار بن ياسر ، (1) كما تحدث عن شجاعة عمار بن ياسر واستبساله في قتال المشركين بقتله ثلاثة منهم ، الحارث بن الحضرمي ويزيد بن تميم وعلي بن أُمية بن خلف ، وأسره واحداً من كبار مشركي قريش ،أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس (2)، كما شارك في معركة أُحد ، وفي أعقابها ارتبط اسمه بمقتل أحد رجالات قريش المعروفين من بني أمية ، معاوية بن المغيرتين ، أبي العاص ، الذي كان مطلوباً للنبي الذي أهدر دمه بسبب كثرة تعديه واعتداءه على المسلمين ، توسط له عثمان بن عفان لدى النبي ،الذي استجاب لطلب عثمان بالعفو عنه ،على أن يعود الى مكة ،خلال ثلاثة أيام ، لكنه خالف ما اشترط عليه رسول الله ولم يذهب الى مكة ، وكَمِنَ في العقيق (3) ، واذ خرج الرسول في غزوة حمراء الأسد ، حث المسلمين على طلبه، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فقتلاه ، وكان ذلك من الأسباب التي جعلت بني أمية يضمرون لعمار ذلك القدر الكبير من الحقد والكراهية ، فنافحوه وكافحوه في أي حين ومكان .

وفي غزوة ..ذات الرقاع .. كان عمار بن ياسر قد رافق النبي(ص)(4)، وفي غزوة.. المريسيع .. (5) كانت راية المهاجرين مع عمار بن ياسر.

وفي رواية لوهب بن جرير ، دليل واضح على أن عمار بن ياسر كان قد شارك في كل العمليات الحربية ، المعارك والغزوات ، التي دارت ونفذت في حياة الرسول ، جاء على لسان عمار بن ياسر " قاتلت مع رسول الله (ص) الأنس والجن " (6) ومما لا شك فيه أن عمار بن ياسر كان يقصد

بذلك أنه كان قد شارك في معارك وغزوات الرسول كلها ، والتأكيد على ذلك ، وأنه قاتل أعداء الله دون كلل وهوادة جنباً لجنب مع رسول الله (ص) ، وليس قتال الجن بمعناه الحرفي ، فلم يذكر في التاريخ ما يشير الى وقوع معارك بين المسلمين والجان .

ونظراً للثقة الكبيرة التي كان يوليها الرسول الكريم (ص) لعمار بن ياسر ، فقد كلفه باحدى المهمات التاريخية التي ستظل علامة مضيئة في تاريخ الإسلام ،فقد كان عمار بن ياسر من بين المجموعة المختارة من المسلمين التي نقلت رسائل النبي الى ملوك شبه الجزيرة العربية وخارجها ، قيصر وكسرى والمقوقس وملك الأحباش ، حاملة الدعوة الى الإسلام ، حيث تولى ايصال كتاب النبي الى الأيهم بن النعمان الغساني في الشام.(7)

وكان عمار بن ياسر رضوان الله عليه من بين ثلاثة حضروا تشييع فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، الى جانب أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وهو ما يشير كذلك الى عمق الرابطة التي كانت تجمعه الى الإمام علي (ع).

جهاد عمار بن ياسر في حروب الردة

نقصد في حروب الردة ، هي تلك الحروب التي وقعت في شبه الجزيرة العربية إثر انتقال النبي (ص) الى جوار الرفيق الأعلى، والتي بدأت بارتداد عدد ممن ادعوا النبوة ، ومنهم من ارتد على حياة الرسول الكريم، منهم مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث التميمية ، والفجاءة السلمي ، وطلحة بن خويلد الأسدي ، وعيينة بن حصن ، ولا نقصد بها تلك الحروب التي طالت عدد من المسلمين ،الذين هتكت أعراضهم ، وسلبت أموالهم ، بعد أن أُزهقت أرواحهم ظلماً ،كما حدث

لمالك بن نويرة ، الذي قتل وسلبت منه زوجته جهاراً بعد مقتل زوجها ولم تلتلزم بعدته خلافاً للشرع الإسلامي ،والغريب أن الخليفة أبو بكر لم يحاسب من ارتكب تلك المعصية ،ومنذ ذلك الحين كثرت المخالفات التي تشابه تلك الجريمة النكراء .

" استشهد من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ،ثلاثمائة وستون رجلاً، ومن غير أهل المدينة ثلاثمائة رجل " (8) .

انتهى خالد بن الوليد من حرب اليمامة ، فجاءه الأمر من أبي بكر بالتوجه وهو في الحيرة ليدعم المثنى بن حارثة الشيباني وليكن دخوله - خالد - من الجنوب على حين يدخلها عياض بن غنم من الشمال ، وعياض بن غنم ، من قادة الفتح المعروفين ، وليكن لقاؤهما في الحيرة ، وتكون أمرة الجيش لمن يدخل الحيرة أولاً ، وهي ما يشبه درجة من درجات القيادة في الجيوش الحديثة ،وكان ذلك في مطلع العام الثاني عشر للهجرة . مما يعني أن عماراً رضي الله عنه والذي اشترك في معركة اليمامة كما سنذكر ذلك بعد قليل قد سار مع ابن الوليد نحو العراق في مرحلة الفتوح الإبتدائية ، التي سبقت الحملة الكبرى التي قادها سعد بن أبي وقاص لاحقاً ،ومن الحيرة ورد على ابن الوليد كتاب الخليفة أبو بكر يأمره فيه بالتوجه نحو الشام ، بعد أن ترك المثنى في الحيرة يدير شؤون الحملة التي كانت محدودة كما ذكرنا .

واليمامة كما جاء في معجم البلدان للحموي ، ج5 ص 442 :وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر ، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، سنة 12 للهجرة وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم

صولحوا ، وهذا يعزز ما توصلنا اليه من استنتاج حول مشاركة عمار بن ياسر في المراحل الإولى من الفتح.

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه قد أبلى بلاءً حسناً في ذلك اليوم [يوم من أيام حروب الردة] ، قال عبد الله بن عمر : ((رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة ، على صخرة وقد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون ؟! أنا عمار بن ياسر ، هلمّوا إلي)) وأنا أنظر الى اذنه قد قطعت فهي تذبذب [تتأرجح] ، وهو يقاتل أشد القتال)). وها هو عمار بن ياسر يثبت في كل موقف وحين أنه يمتلك من الشجاعة والإيمان ما يفوق ما يمتلكه غيره ، فكيف يستطيع انسان ما قطعت اذنه في الحرب وهي لا زالت تتحرك من أثر القطع أن يرتقي صخرة ليشرف على المعركة وينادي المسلمين أن لا يفروا من المعركة ، ويظل متماسكاً صافي الذهن كي يستمر في القتال بكل ما أُوتي من قدرة وقوة ، رحم الله عماراً فقد كان قدوة لكل المسلمين والمؤمنين بصدق بتلك الدعوة التي انطلقت في أرض الجزيرة العربية لتحول العالم نحو منحى جديد في بزوغ علاقات انسانية جديدة جاء بها الدين الجديد ،قدوة بكل ما تعنيه تلك الكلمة من معنى ، وربما كان اقدامه ذلك واستعداده المنقطع النظير من أجل التضحية في سبيل القيم التي آمن بها ، قد جلبت له ذلك القدر الكبير من الحقد والكراهية .

جهاد عمار في معارك الفتوح

مما لاشكّ فيه أن عمار بن ياسر ، رضوان الله عليه ، كان قد شارك في الكثير من المعارك التي دارت في العراق بين المسلمين والفرس ، خاصة في عام 20 أو 21 للهجرة ،أي بعد تولي عمر بن الخطاب الخلافة ، وتعيينه لعمار والياً على الكوفة ، وذلك يرجح أن عماراً كان قد اشترك في فتح

العراق في عهد الخليفة أبو بكر ، ولأن عمار كان قد اشترك في حروب الردة ، فذلك يعزز ذلك الإستنتاج ، فعندما انتهت حروب الردة ، ووصول خالد بن الوليد الى أرض البحرين ، وهي أرض الأحساء الحالية ، الكائنة في المنطقة الشرقية من أرض الحجاز ، حيث كانت قد جرت آخر معارك حروب الردة ، توجه خالد بن الوليد بجيش المسلمين مباشرة الى العراق دون أن يعود الى عاصمة الخلافة ،المدينة المنورة ، ولم يكن جيش المسلمين في تلك المرحلة كبيراً ، مما حدا بابن الوليد أن يتوجه الى مناطق بعيدة عن مركز الثقل للقوات الفارسية التي تتحشد بالقرب من عاصمة الفرس في طيسفون - المدائن الحالية - ،وكانت الأبلة أول هدف لجيش المسلمين ،ومن ثم انحرف نحو الغرب ، متفادياً الدخول في معارك حاسمة ، بسبب عدم استعداد المسلمين لمثل تلك المعارك لعدم تناسب قوة الجيش الإسلامي مع القوات الفارسية ، فقد كانت القوات الإسلامية تخوض معارك محدودة لجس نبض القوات المعادية ، واحداث أكبر قدر من الخسائر بين صفوفها ، أو للتأثير على روحها المعنوية ، وقد حققت نتائج باهرة في ذلك ، ولم يدخل المسلمون في معارك حاسمة ، كالتي حدثت في المراحل اللاحقة ، كمعركة القادسية التي حدثت في العراق، في السادس من شهر محرم سنة 15 هجرية ، تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ، أو معركة اليرموك التي حدثت في الشام في يوم الإثنين الخامس من رجب عام 15 للهجرة ، والتي وضعت كلٍ من الأمبرأطورية الفارسية والرومانية على أعتاب الهزيمة النهائية ، بل إن أمبرأطورية الفرس كانت قد اختفت من الوجود أثر التقدم المستمر لجيش المسلمين في عمق الأراضي الفارسية حتى انتهت بسقوطها والتي كان للفرس من أهلها

الذين كانوا قد سئموا من حكم ملوك فارس فضلاً كبيراً في توغل الجيش الإسلامي شرقاً، وكان جيش المسلمين في تلك المرحلة من الحرب يتحاشى التوغل شرق العراق للأسباب التي ذكرناها ، بل كان يتجه غرباً كما ذكرنا ذلك ، حتى وصل الى عين التمر محققاً انجازات هامة، وكان آخر مركز عسكري فارسي قد سقط في أيدي المسلمين ، عندما اصدر الخليفة أبو بكر أمراً لخالد بن الوليد أن يتحرك الى الشام واستلام القيادة فيها من أبو عبيدة بن الجراح ، هو عين التمر ، وترك قوة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني هناك ، ويأمره أن لا يدخل في معارك حاسمة مع الفرس ،أما الحملة التي أطاحت بالأمبراطورية الفارسية في المراحل اللاحقة ، فكانت قد أُعدَّ لها بعناية تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ، كما تم امدادها بعدد كبير من المقاتلين فيما بعد ، حتى أن قسماً من المقاتلين كان قد قدم من جيش الشام الى العراق بعد أن كتب سعد الى الخليفة بحاجته الى قوة اضافية لتغزيز قواته عندما بات واضحاً أن معركة كبيرة وحاسمة ستجري في وقت قصير قادم ، وقد كانت معركة القادسية ، وكان من بين من قدموا الى العراق غداة نشوب تلك المعركة ،مالك الأشتر وهاشم المرقال ، ومما يعزز الإعتقاد أن عمار كان قد شارك في تلك المرحلة من الحرب ، ونقصد مراحلها الأولى ، أو في جزء منها ثم توجه الى المدينةالمنورة ، على أن قسماً من كتب التاريخ لم تستبعد أن خالد بن الوليد كان قد أتى المدينة المنورة بعد إنتهاء حروب الردة ، لكن تلك الفرضية لا تمتلك الكثير مما يسندها ، لكنه يعزز احتمال أن عمار بن ياسر لم يشترك في المراحل الأولى من حرب العراق ،

على إن الإحتمال الأول أكثرها اعتباراً وتصديقاً لأتفاق جميع المصادر عليه .

وقد وردت بعض النتف من المعلومات في بعض مصادر التاريخ في سياق الحديث عن قضية بعينها ، تتحدث عن اشتراك عمار بن ياسر ، رضوان الله عليه ، في بعض المعارك قرب البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب "غزا أهل البصرة ماء وعليهم رجلٌ من آل عطارد التميمي فأمده أهل الكوفة وعليهم عمار بن ياسر ، فقال الذي من آل عطارد لعمار بن ياسر : يا أجدع أتريد أن تشاركنا في غنائمنا ؟ فقال عمار خير أُذني سببت ، قال شعبة : يعني أنها أُصيبت مع النبي ،صلى الله عليه وسلم ، قال فكتب بذلك الى عمر فكتب عمر : إنما الغنيمة لمن شهد الوقعة ، قال لم ندر انها اصيبت في اليمامة " (9)، وهنا قد يحدث بعض التساؤل المشروع عن الجدع الذي أصاب أُذن عمار هل حدث في عهد النبي ، أم في حروب الردة في عهد أبي بكر ، ونحن نقول أن ذلك يعني أن أذنه قد قطعت في سبيل الله ، عندما يرد ذكرها أنها قطعت في الحروب التي حدثت في عهد النبي ،لأنه لم نرَ أن حروب الردة قد حدثت في عهد النبي ، وربما حدثت بعض المعارك المحدودة في عهد النبي ، لأن دعاوى من أدعى النبوة كذباً قد ظهروا في عهد النبي أيضاً،والذي رفض رسالة أحدهم الى الرسول ، والتي طلب فيها أن يشارك النبي في ملكه!! وربما يكون النبي قد أرسل جيشاً لقتالهم .

لكن عمار بن ياسر - وكما تذكر التواريخ ذلك بوضوح - كان قد شارك في حروب العراق بعد أن أمَّره الخليفة عمر بن الخطاب على الكوفة .

هذا لا يقطع أن عماراً لم يشترك في تلك المعارك مبكراً ،اذ ان عدم ذكره في كتب التاريخ التي أرّخت لتلك المرحلة من الحرب لا يعني عدم اشتراكه فيها ،لا سيما وأن السلطة الأموية كانت تقف منه موقفاً معادياً ، وتبذل كل ما تستطيع لطمس جهوده في مجال الجهاد في تلك المرحلة من حياةالإسلام ،على أن السلطات الأموية لم تستطع أن تتكر لعماربعض الأخبار التي تم تناقلها بصورة متكررة في بعض كتب التاريخ والتي وصلت عصرنا الحالي على الرغم مما أشابها من بعض التشويه والتحريف .

" وفي سنة 21 هجرية أرسل عمر بن الخطاب (رض) عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وأميناً على بيت المال وأمره أن يعلم الناس القرآن الكريم ، وتعلّق أهل الكوفة به فارتضوا سيرته واتخذوه شيخاً ، وعاد الخليفة وعزل عماراً وولى أبا موسى الأشعري بدلاً عنه ، سنة احدى وعشرين للهجرة ". وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد أرسل عشرة من الأنصار من صحابة النبي (ص) المشهود لهم بالتقوى والصلاح صحبة عمار عندما توجه الى الكوفة يساعدونه في تصريف امور الإفتاء والإدارة و" عبيد بن عازب الأنصاري أخو البراء ... هو أحد العشرة الذين وجههم عمر الى الكوفة مع عمار بن ياسر" (10)

ولم يمكث عمار بن ياسر في أمرة ولاية الكوفة كثيراً فقد عزله الخليفة عمر بن الخطاب وعيّن أبو موسى الأشعري بدلاً عنه ، وعندماعزله لم يكن لديه مال يسترجعه ، وعمر كان طالما يفعل ذلك بمن يعزلهم من الإمارة لأعتقاده بأن المال الذي حصلوا عليه بعد توليهم الإمارة هو مال يعود الى بيت المال ، وما فعله بأبي هريرة عندما عزله عن

ولاية البحرين شاهدٌ على ذلك، وكان أهل الكوفة قد أبدوا رأياً لا يرفع من شأن عمار لأنه لم يكن يتصرف معهم بشدة ويظهر عليه التواضع الشديد ، " وولى عمر ، مكان سعد بن أبي وقاص عمار بن ياسر ،ثمَّ قدم عليه أهل الكوفة فقال : كيف خلفتم عمار بن ياسر أميركم ؟ قالوا : سلم ضعيف فعزله " (11)، " لقد ولّى عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري ، رضي الله عنهما ، على قضاء الكوفة بعد عزله عمار بن ياسر ، رضي الله عنه ، سنة إحدى وعشرين للهجرة ،فأقام أبو موسى على قضائها سنة ، ثم إن عمر ولاّه على البصرة بعد المغيرة بن شعبة قاضياً ووالياً ،ثم أبقاه على الولاية "

وهناك ما يشير - في أحد مصادر التاريخ - الى أن عثمان كان قد عزل عماراً من ولاية الكوفة حال توليه الخلافة " واستخلف عثمان بن عفان ، فعزل عمار بن ياسر عن الكوفة . وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان أخا عثمان لأمه "

وفي عهد تسلمه ولاية الكوفة كان لعمار مشاركات مشهودة في العمليات الحربية التي دارت في العراق ، أو بصورة أوسع في العمليات التي دارت فيما بعد في الساحة الشرقية للعمليات ، في عمق أرض فارس والتي انتهت الى سقوط الدولة الفارسية فيما بعد .

ويبدو أن من مهام ولاة الأمصار خاصةً الكوفة والبصرة والشام كانت استنفار المقاتلين وتوجيههم الى ساحات القتال التي كانت تدور على الجبهات في العراق والشام ومصر ، " أما عروة بن زيد الخيل فبعثه عمار بن ياسر - رضي الله عنه - وعن جميعهم ، الى قتال الري والديلم ، فكانت فتوح عظيمة " (12)، كما ورد تفصيل أكثر في أمر ذلك

البعث " كتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي الى الري ودستبي ◆ في ثمانية آلاف ، ففعل وسار عروة لذلك فجمعت له الديلم وأمدوا أهل الزي وقاتلوه ، فأظهره الله عليهم فقتلهم واستباحهم ، وذلك في سنة 20 أو 19 للهجرة " (13) وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد كتب الى أهل الكوفة كتاباً يخبرهم فيه بتأمير عمار بن ياسر أميراً على الكوفة ، وعندما عزله عنها ساله .. أساءك العزل ؟ قال والله لقد ساءتني الولاية وساءني العزل .. .

ويبدو جلياً أن وجوه أهل الكوفة ، وهم من شيعة الإمام علي (ع) كانوا من أكثر المساهمين في العمليات التي جرت في ساحات العمليات الشرقي، في العراق وأرض فارس ، وهذا معقل بن قيس الرياحي وهو من خلص شيعة الإمام علي ، ورد ذكره كثيراً في معركة صفين كقائد من قادة جيش أهل العراق وأمير من أُمراؤهم ،وكان الإمام علي قد بعثه عندما وصل المدائن في طريقه الى صفين ، في ثلاثة آلاف مقاتل في طليعة كامل جيشه ،بعد أن زوده بتعليمات يشرح له فيها ما يتوجب عليه عمله في مختلف الظروف التي يمكن أن يلاقي فيها عدوٍ له ، كأن تكون قواته أكثر منه عدداً ، وطريقة تنقله ليلاً وهكذا ، " ومعقل بن قيس الرياحي ، أوفده عمار بن ياسر الى عمر . رضي الله عنهما بفتح تستر(14) " (15) . وكان فتح المدينة على يد عمار بن ياسر وقصتها " أن أبا موسى الأشعري لما فتح سرَّق سار منها الى تستر وبها شوكة العدو وحدُّهم ، فكتب الى عمر ، رضي الله عنه ، يستمده ، فكتب عمر الى عمار بن ياسر يأمره بالمسير اليه في أهل الكوفة ، فقدَّم عمار جرير بن

عبد الله البجلي وسار حتى أتى تُستر " (16) واحتل المسلمون تُستر بعد قتال شديد دام عدة أيام ، وقد ارسل عمار معقل الرياحي الى عمر يخبره بالفتح كما ذكرنا آنفاً .

وجاء في الأخبار الطوال للدينوري عن فتح مدينة تستر أو شوشتر الحالية " فأقبل الهرمزان ـ قائد جيش الفرس ـ حتى وافى مدينة تستر ، فنزلها ، ورمَّ حصنها ، وجمع الميرة فيها لحصار رهقه وأرسل فيما يليه يستنجدهم، فوافاه بشرٌ عظيم ، فكتب أبو موسى (الأشعري) الى عمر، يخبره الخبر ؛ فكتب عمر رضي الله عنه الى عمار بن ياسر ، يأمره أن يوجه النعمان بن مقرن في ألف رجلٍ من المسلمين الى أبي موسى ؛ فكتب عمار الى جرير ، وكان مقيماً في جلولاء ، يأمره باللحاق بأبي موسى ، فخلف جرير بجلولاء عروة بن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب ، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى ، فكتب أبو موسى الى عمر يستزيده من المدد ؛ فكتب عمر الى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى ، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى ، وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء " الأخبار الطوال ، الدينوري ، ص130، وبعد أن استكملت القوات تحشدها كان الفتح للمسلمين . وعاد عمار بن ياسر الى الكوفة ، والذي يبدو من سياق روايتنا للقصة أن المسلمين كان لديهم بريد متطور وسريع يواكب سير تطور المعارك ، وأوامر كانت تصدر للقوات التي كانت موجودة في مناطق متفرقة لتحريكها بعد أن تكلف بواجبات محددة .

وفتح نهاوند جاء قبل شهرين من فتح تستر ، فتحها أهل الكوفة سنة 20 للهجرة أو 19 ، وقيل سنة 21 في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، في امارة عمار بن ياسر على الكوفة فتحها النعمان بن مقرن المزني ، الذي كان قائداً لقسم من الجيش الذي كان يقوده عمار والذي فتح مدينة تستر ، مما يترك انطباعاً قريب جداً الى الواقع من أن عماراً كان قد شارك في فتح نهاوند أيضاً .

كما جاء في تاريخ الطبري ما يشير الى اشتراك عمار بن ياسر في فتح مدينة الري في أرض فارس ، فلقد كانت الكوفة بحكم تحشد عدد كبير من قبائل العرب فيها تعتبر مستودع الرجال الذي لا ينضب في عهد تمصيرها الأول ، وفي ولاية عمار لها ، كانت الكوفة تعتبر من جيوش النجدة ، وكان عمار يقود جيش الكوفة عندما يطلب منه أن ينجد جيشاً آخر للمسلمين ، توقف تقدمه نحو الشرق لسبب من الأسباب ، وعندما كان أبو موسى الأشعري يحاصر مدينة تُسْتَر - وهي شوشتر الحالية - وكان الفرس قد تحصنوا في المدينة التي حاصرها أبو موسى ولم يستطع فتحها ، حتى قدم عليه عمار بن ياسر على رأس جيش الكوفة ، فكتب الفرس الى أبي موسى يطلبون الدخول في الإسلام " فلم يزل مقيماً - سياه قائد الفرس - حتى صار أبو موسى الى تستر ، فتحول سياه ، فنزل بين رامهرمز وتستر ، حتى قدم عمار بن ياسر " (17) فوجد الفرس أن لا طاقة لهم في قتال المسلمين ، فأسلموا ، وكتب أبو موسى الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره أمرهم ، وكتب الخليفة الى أبي موسى أن يقبل ما طلبوا .

معركة الجمل

نشبت معركة الجمل بين جيش الإمام علي (ع) وجيش عائشة وطلحة والزبير في 15 جمادي الآخرة عام 36 للهجرة، وفي بعض المصادر الأُخرى حدثت المعركة في 10 من جمادي الآخرة ، الموافق 4 نوفمبر ، كانون الأول ، من عام 656 للميلادية ، واستمرت لمدة ثلاثة أيام كان فيها النصر المؤزر لأمير المؤمنين ، ومقتل طلحة والزبير، وتفرّق شمل أهل الجمل .

وكان الإمام عليه السلام قد أرسل عدة رسل الى أبي موسى الأشعري ، واليه على الكوفة الذي أخذ يثبط الهمم ويضع الحجج أمام أهل الكوفة لينفروا مع الإمام الذي ينتظرهم في ذي قار ، ومنهم الوفد الذي ارسله مع ابنه الحسن وعمار بن ياسر ، حيث لم يستجب الأشعري لطلب الحسن وعمار بأن يتوقف عن تثبيط الهمم ، فاحتج بحديث عن النبي (ص) : وادعى أنه سمعه يقول : ستكون بعدي فتنة ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والنائم خير من القاعد ، فرد عليه عمار بن ياسر وقال : اذا صح انك سمعت رسول الله يقول ذلك فقد عناك وحدك ، فالزم بيتك ، أما فاشهد الله أن رسول الله قد أمر علياً بقتال الناكثين وسمّى لي جماعة منهم ، وأمره بقتال القاسطين ، وان شئت لأقيمن لك شهوداً . أن رسول الله قد نهاك وحدك وحذرك من الدخول في الفتنة . لكن الأشعري لم يتخل عن موقف المتخاذل الاّ بعد أن أتاه الأشتر ـ كما ذكرنا ذلك ـ وأخرجه من دار الإمارة ، حيث نفر أهل الكوفة الى ذي قار بقضهم وقضيضهم .

والذي يهمنا فيها هو الوقوف على مشاركة عمار بن ياسر والدور الذي لعبه فيها ، ولا نريد في هذا المقام أن نتحدث بالتفصيل عن المعركة لأننا

سبق وأن تحدثنا عن ذلك في كتابنا الموسوم .. الإمام علي (ع) والحرب.. ، لكننا سوف نتوقف على بعض عناصر الموقف الهامة ، كما أننا سوف نناقش بتفصيل أكثر قضية تآمر السبئية - الذي لا يمكن للعقل أن يصدقه - في اشعال حرب الجمل وما فعله أهل الجمل بأنصار الإمام علي في البصرة قبل المعركة الأولى وخلالها وبعدها ، كانت ساحة قتال معركة الجمل مدينة البصرة ، وفي منطقة من البصرة تدعى الخريبة ، وهي اليوم بين الزبير والبصرة ، ويقال لها : الخر وهناك قبر طلحة ، وفي مصدر آخر قيل عند قصر عبيد الله بن زياد في البصرة وهو اختلاف بسيط ،فقصر عبيد الله لا يبعد كثيراً عن الخريبة ، وسميت المعركة بذلك الأسم (معركة الجمل) لأن قادة جيش عائشة فضلوا ركوب الجمل على البغال والحمير ، أ لاّ أن الشائع أن التسمية كانت قد جاءت من الجمل الذي كانت تركبه عائشة خلال المعركة وتنقلها من مكة الى البصرة عليه بعد أن نصب لها هودجاً فوقه ، وللجمل هذا قصةٌ أيضاً ،اشترى يعلي بن أُمية ذلك الجمل المسمى ,,عسكر ,, وعندما علمت عائشة أن الجمل اسمه عسكراً نادت أن غيروا الجمل فقد كان رسول الله (ص) حذرها أنها ستركب ذلك الجمل وتقاتل أمير المؤمنين وهي له ظالمة ، فعمد القوم الى تغيير جلاله لإيهامها بأنهم قد بدلوه، وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكراً في هودج ، قد أُلبس الرفرف ، ثم البس جلود النمر ، ثم البس فوق ذلك دروع الحديد .

من المؤكد أن الإمام علي كان يعلم بنية طلحة والزبير عندما استأذناه الخروج للعمرة " والله والله ما تريدان العمرة وانما تريدان البصرة " (18) وفي رواية أُخرى انما تريدان الغدرة ، ولم يكن من خلق الإمام أن يحكم

على النوايا دون الأفعال ، وما داما لم يباشرا عملاً مسلحاً معادياً فلا يمكن اعتماد أي إجراء ضدهما ، وعندما وصلا مكة توضحت نياتهما بعد لقائهما بعائشة ، وقرر الجمع التوجه الى البصرة ، بعد أن وجدوا ذلك الخيار أفضلها لإعتبارات عديدة ، بعد دراسة خيار التوجه الى الكوفة أو الشام ، فوجدوا أنه غير قابلٍ للتحقيق، وكان أن تجهز الجيش باحتياجاته بعد أن تبرع بعض ولاة عثمان بما نهبوه من بيت المال لتهيئة متطلبات الحركة ، وسائل نقل ،جمال وخيول ، وأرزاق وماء ، وساروا مسرعين الى البصرة ، تدفعهم آمالهم التي لم تتحقق بالنصر والتسلط ، ولما علم الإمام علي (ع) بحركتهم قرر اللحاق بهم تصحبه قوة قليلة قصد السرعة ، ومن ثمَّ منعهم من الإمعان في تآمرهم حفاظاً على وحدة المسلمين ومنعهم من اراقة الدماء ، وعندما وصل الى الربذة علم أنهم افترقوا هناك قاصدين البصرة ، فلم يجد أن أمر متابعتهم قد أصبح أمراً محفوفاً بالمخاطر ، وفعلاً كان قرار الإمام صائباً فقد ندم المتآمرون عندما وصلوا البصرة أنهم لم يهاجموا الإمام بالربذة وليس معه من القوات ما يكفي لمنعهم من تحقيق هدفهم في قتله أو أسره ، وعاد الإمام الى المدينة وأعلن أنه عازم على الحركة الى البصرة ، وهنا يجدر بنا التوقف لدراسة تأثير عامل الوقت في الحرب وأهميته القصوى ، وفي تلك المعركة بصورة خاصة ، لأن الوقت الذي ذهب هدراً في انتظار الإمام في ذي قار لأهل الكوفة كان قد قدم فرصة ثمينة لجيش أهل الجمل ، استغلته في تصفية أنصار الإمام في البصرة ، والسيطرة على المدينة بصورة كاملة ، ويمكن تقدير ذلك الوقت بصورة تقريبية من خلال متابعة تنقلات رسل الإمام الى الكوفة وتحشد الجيش الذي تنقل فيما بعد من

الكوفة الى ذي قار ، ومنها الى البصرة ، فلقد عاد الإمام الى المدينة من الربذة بعد أن فاته أن يلحق بأهل الجمل لمنعهم من الذهاب الى البصرة ، وهو ما يمكن أن يستغرق ثلاثة أيام ، ومن ثم تحشد الجيش في المدينة وتنقله منها باتجاه ذي قار ،وهو ما يمكن أن يستغرق 15 يوماً ، ثم ارساله أبنه الحسن الى الكوفة يصحبه عمار بن ياسر وعودتهم الى ذي قار بعد فشلهم باقناع أبي موسى الأشعري بالتوقف عن التأثير على أهل الكوفة وتثبيط عزائم الناس في التوجه الى ذي قار ، وهذا ما يمكن أن يستنفذ ما لا يقل عن خمسة عشر يوماً ، ويمكن أن يستغرق ذهاب مالك الأشتر الى الكوفة بعد فشل الإمام الحسن في مهمته فيها حوالي 7 أيام ، ثم تحرك المقاتلين من الكوفة الى ذي قار حوالي 10 أيام ،لأن تحرك الجيش يحتاج الى وقت أكثر من تحرك قافلة صغيرة ، ويحتاج الجيش من الوقت حتى يصل الى البصرة من ذي قار الى حوالي 7 أيام ، فيكون الوقت الذي ذهب هدراً حوالي 45 يوماً ، بينما استغرق جيش أهل الجمل من الوقت حتى يصل الى البصرة من الربذة حوالي 10 أيام ، يمكن اعتبار تلك الحسابات مقبولة الى حد كبير ، واضعين هامشاً محدوداً من الخطأ ، وعند مراجعتنا لكتب التاريخ التي تحدثت عن تلك المعركة وجدنا أن تنقل الإمام من المدينة حتى وصوله الى أرض المعركة قد استغرق حوالي 45 يوماً " وسار الإمام علي من المدينة في تعبئة تعبّاها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين " (19) ، ومن ذلك نستنتج أن أهل الجمل قد حصلوا على حوالي الشهر من الوقت الذي مكنهم من استغلاله في دراسة أوضاع مدينة البصرة ، وامكانية حدوث تصدع في جبهة أنصار الإمام في البصرة ، حجم القوة التي تتيسر لدى عثمان بن

حنيف والي الإمام علي على البصرة ، وكم من الوقت يستطيع الصمود بوجه عدوه ، وقد نفذوا خطتهم فيما بعد واحتلوا مدينةالبصرة بصورة كاملة ، وسنناقش ذلك عند حديثنا عن الأحداث التي سبقت نشوب المعركة الرئيسية .

وصل جيش أهل الجمل الى البصرة ، ويتأخر عثمان بن حنيف والي الإمام علي (ع) على البصرة عن الإستعداد لمنازلة القادمين الذين كان هدفهم واضحاً ، وهواسقاط الخلافة الشرعية ((المنتخبة من قبل المسلمين)) ، وكان حكيم بن جبلة العبدي ،وهو من أشدّ أنصار الإمام في البصرة تحمساً ، مدركا لنوايا وأهداف أصحاب الجمل وكان يرى أن يبادر عثمان بن حنيف فوراً لمنازلتهم قبل أن يضعوا أقدامهم على أرض البصرة ، فيستحكموا فيها ، فيصعب عندها اخراجهم منها ، وكان الأحنف بن قيس ، شيخ قبيلة تميم في الصرة قد نبه عثمان بن حنيف حالما أشرف القوم على الوصول الى البصرة ، بأن عليه أن يقف في وجه القادمين قبل استفحال أمرهم " انهم جاءوك للطلب بدم عثمان ؛ وهم الذين ألّبوا على عثمان الناس ، وسفكوا دمه ؛ وأراهم لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بيننا ، ويسفكوا دماءنا ، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به ، إن لم تتأهب لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من أهل البصرة ، فانك اليوم الوالي عليهم ، وأنت فيهم مطاع ، فسر اليهم بالناس ، وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة ، فيكون الناس لهم أطوع منهم لك " . (20)

وكان عثمان بن حنيف قد استلم كتاباً من طلحة والزبير يخبرانه فيه أن يتهيأ لتسليم دار الإمامرة للقادمين الجدد ، قراه على الأحنف بن قيس

وحكيم بن جبلة العبدي ، فكان رأي الأحنف ما ذكرناه آنفاً ،أما حكيم بن جبلة فكان أكثر وضوحاً واصراراً ، أجاب حكيم عثمان قائلاً له : " اذن لي حتى أسير اليهم بالناس ، فان دخلوا في طاعة أمير المؤمنين ، والاّ نابذ تهم على السواء ؛ فقال عثمان : لو كان ذلك رأيي لسرتُ اليهم بنفسي ، قال حكيم : أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينقلن قلوب كثير من الناس اليهم ، وليزيلنك عن مجلسك هذا ، وأنت أعلم ،فأبى عليه عثمان" شرح النهج ج9 ص312 ، وكان الإمام قد كتب لعثمان بن حنيف يأمره أن يطلب منهم العودة عما يبيتوه ،فان أبوا قاتلهم ، لكنه تماهل كثيراً ، ولنتابع قصة تردد عثمان وما انتهى اليه أمره .

وبعد أخذٌ ورد وجدال عقيم ، جمع عثمان أصحابه وشن هجومه المتأخر على أهل الجمل بعد أن أضاع فرصة شن الهجوم عليهم قبل أن يثبتوا أقدامهم ويحققوا اتصالاً مع أطراف عديدة من أهل البصرة فمنهم من التحق بأهل الجمل ومنهم من وقف على الحياد فأحدثوا بذلك انقساماً بين صفوفهم لم يكن بن حنيف ملزماً على حدوثه ، ولم يكن قادراً على فعل شيئ ، وتواقف الطرفان ، وعقدا صلحاً بينهما ، وقد غاب عن ذهن ابن حنيف أن القوم قد أنكروا بيعتهم للإمام علي ونكثوها ، فهم لا عهد لهم ، وكانت بنود الصلح الذي عقد بين الطرفين " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين ،إن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ،وان طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة . ولا يضار واحدٌ من الفريقين الآخر في

مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضة ، بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب الخير ؛ فان رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما ، وان شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيته ، وان شاء دخل معهما ؛ وان رجع بانهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان ، فان شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي وان شاءا خرجا حتى يلحقا بطيتهما ، والمؤمنون أعوان الفالح منهما " (21) .

وكانت تلك هي غلطة أخرى ارتكبها عثمان في توقيع تلك الوثيقة الخدعة ، فهي وفي كل الأحوال لا تلزم طلحة والزبير التنحي عن مطالبهم ودعاواهم في شرعية رفع راية العصيان على الخليفة ، وتعطيهم الحق في الإلتحاق بأي قوة أُخرى لها نفس اهدافهما ، كمعاوية مثلاً ، لكن ما يبعث على الإستغراب قبول عثمان أن يكون كعب بن سور هو المبعوث الى المدينة وهو من المعروف بميوله العثمانية الصريحة وكرهه للإمام علي هو الحكم ، فهل سيأتي كعب هذا بجواب يخالف رغبة أهل الجمل وهو منهم ؟ فكان أن جاء كعب يحمل جواباً يتجاوب مع رغبات أهل الجمل وهو ما لم يكن مفاجئاً لأحد ، ولم يقبل عثمان بما جاء به كعب بن سور ، وأعلن بطلان ما اتفقوا عليه ، لأن للخليفة الشرعي وحده الحق أن يقرر ذلك ، وكان قراره ذلك متأخراً ، وبيَّت أهل الجمل الغدر لعثمان وأنصاره ، فهاجموه في المسجد في صلاة الفجر ،فقتلوا حراسه ،ثم هاجموا بيت المال وسيطروا عليه بعد أن قتلوا حراسه صبراً ، وكانوا قبل ذلك قد اولغوا في دماء المسلمين بقتلهم كل من يبدي رأياً مخالفاً لهم ، فهذا امرؤٌ من عشيرة عبد القيس ،عشيرة حكيم العبدي خالفهم في الرأي فقتلوه فأرادوا قتله لكن عشيرته حمته ذلك

اليوم " فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه ، فقتلوا سبعين رجلاً " الطبري مجلد4 ص470 . وكانت معركة قد حدثت بعد عودة كعب من المدينة أعقبها هدوء حذر ،أعقبه هجوم الزبير على بيت المال والإمارة ، وكانت أول معركة حدثت في حرب الجمل في 5 بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وكان حكيم العبدي حذراً ومتيقظاً فلم ينخدع ، وبات مع أنصاره يراقب الموقف الذي تدهور بشدة صباح ذلك اليوم ، فقاد أصحابه في هجوم فدائي على أهل الجمل ،وقاتلهم قتلاً شديداً ، حتى أنه كان قد قتل مقاتلاً من أهل الجمل برجله المقطوعة ، بينما كان يجود بنفسه الأبية ، كان حكيم مدرك تماماً أن القوم سيقتلونهم لا محالة وأن حجة مقتل عثمان التي أتوا بها من مكة يمكن أن يلبسوها تهمة لكل من لا يوافقهم الرأي فما علاقة أهل البصرة بمقتل عثمان وهم بعيدون عن المدينة آلاف الأميال فقد كان قميص عثمان حجة لمقتل الآلاف من المسلمين الذين لا ذنب لهم في تلك الحادثة.

ـولا غرابة في أن تتعرض تلك النخبة ، من المخلصين للإمام علي وحقه الذي شك فيه الناكثين في الخلافة ، الى تلك الحملات اللئيمة من الد س والتشويه ، والتي دأب على نسجها وتلفيقها عليهم الذين كتبوا التاريخ الذي ظل يحمل تشويهاتهم فيه الى يومنا الحاضر ، وقد لفقوا اكذوبة عبد الله بن سبأ الذي قيل عنه أنه هو الذي نادى بالوصاية للإمام علي ، وهو الذي كان يحث أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه ، لينادي أمام الناس أن استحواذ بني امية على أرزاق المسلمين ومصائرهم ومالهم لا تقره شرائع الإسلام ومناهجه ، وكأن ما كان ينادي به أبو ذر لم يكن

حقيقة لا غبار عليها ، وكأن بني أمية يملكون حق امتلاك رقاب الناس أيضاً ، وهو ما كان أبو ذر يدعو المسلمين الى رفع أصواتهم عالية لإستنكاره ، أما أمر وصاية النبي للإمام علي فهي واضحة رددها النبي مرات عديدة لكن القوم لم يأخذوا بها وفسروها على هواهم ، واتهام أبي ذر صراحة بأنه كان يخضع لتأثير عبد الله بن سبأ الذي يشك بصحة وجوده ، والذي كان يلقنه ما كان ينادي به فهو يخلو من أي احترام لصحابي عظيم رافق النبي في جهاده من أجل رفع شأن الإسلام ، كما كان المغرضون يروجون أيضاً من أن الصحابي عمار بن ياسر كان من فرقة السبأية ومالك الأشتر والخيرة من المؤمنين .

ولكن كيف كان حكيم بن جبلة العبدي قد اشترك في مقتل عثمان بن عفان ؟ ، وهو أحد القادة المعروفين باخلاصهم للإمام علي ، حيث كان من المفترض أنه سيمكث في المدينة المنورة التي ذهب اليها للمشاركة في مقتل عثمان ، حيث تعوق غيره من القادة فيها ، منهم عمار بن ياسر الذي جاءها من مصر ، ومالك الأشتر وصحبه الذين جاءوها من الكوفة وآخرين كثيرين، فظهر حكيم فجأة في البصرة وكأنه جاء مع أهل الجمل ، ولو أسلمنا جدلاً أن حكيم قد اشترك في مقتل عثمان، فما ذنب المئات من الذين ازهقت أرواحهم دون ذنب جنوه سوى دفاعهم عن الشرعية ورموزها وعندما التقى حكيم وعبد الله بن الزبير بعد المعركة التي انتهت بقتل حرس عثمان بن حنيف وأعداد أخرى منهم حراس بيت المال ، خمسون شخصاً ، قتل منهم الزبير أربعين صبراً ، وعدد من المصلين في تلك الليلة الممطرة التي لفها الظلام الدامس الذي ساعد المتآمرين على تنفيذ خططهم - وعادتهم على امتداد التاريخ العمل في

الظلام ـ قال له " أما تخافون الله عز وجل ! بمَ تستحلون سفك الدماء ! قال ـ يعني عبد الله بن الزبير ـ بدم عثمان بن عفان ، قال : فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ! أما تخافون مقت الله " (22)

ويذكر حكيم هنا حقيقة أن الذين قتلوا لم يكونوا على صلة بأمر مقتل عثمان ، فسقطوا ضحية الطمع وشهوة التسلط المقيتة . ❖

الآن وبعد أن انتهت المعركة واستشهد حكيم ، فكان اسطورة من الأساطير ، وهزم أنصار عثمان بن حنيف ، ووقعت البصرة أسيرة بيد أهل الجمل ، فلننظر ما فعل هؤلاء وكم من الجرائم ارتكبوا ، وكم سفكوا من الدماء حالما تمكنوا من الأمر ، لنرى هل أنهم كانوا قد تركوا لهم من خط رجعة الى السلم والصلح .

فقد أمسكوا بعثمان بن حنيف والي الخليفة على البصرة " فضربوه أربعين سوطاً ، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينه وحبسوه"(23)

بل أنهم كانوا ينون قتله ، فعندما سأل أهل الجمل عائشة ما الذي عليهم أن يفعلونه بعثمان قالت اقتلوه ، فقال لها بعضهم أن تترك هذا الأمر لأن أخيه سهيل بن حنيف والي الإمام على المدينة سوف يثأر له ، أمرت باطلاق سراحه فقصد ذي قار حيث كان الإمام ينتظر قدوم مقاتلي الكوفة ، فقد تم ارتكاب المجازر بحق كل من عرف عنه أنه يميل بهواه الى الإمام علي " ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم ، فجيئ بهم كما يجاء بالكلاب ، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً الاّ حرقوص بن زهير ـ قاتل الزبير بن العوام ـ " (24) ،

نعم كان الناس يعملون و يقتلون كما تقتل الكلاب دون خوف أو وجل من الله سبحانه وتعالى الذي لم ينسَ فعلهم فجازاهم في الدنيا قبل الآخرة.

استشعر أهل الجمل الزهو بنصرهم الذي لم يستمر طويلاً ، فكتبوا الى حلفائهم في بعض الأمصار الإسلامية يزفون لهم ذلك الخبر السعيد ليشدوا من أزرهم وأزر الآخرين من أمثالهم ، فأرسلوا رسلهم الى الكوفة واليمامة والشام يحملون معهم خبر ذلك النصر ويدعونهم الى العمل معهم، ومنهم أهل اليمامة " وبعثوا به مع سيار العجلي ، وكتبوا الى أهل الكوفة بمثله مع رجل ، من بني عمر بن أسد يدعى مظفر بن معرض ، وكتبوا الى أهل اليمامة وعليها سبرة بن عمر العنبري مع الحارث السدوسي ، وكتبوا الى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيري ، فدسه الى أهل المدينة " الطبري مجلد 4/ ص469 حوداث سنة 36. وقد كتبوا قبل ذلك الى شريكهم في الشام يبشرونه بالنصر الذي حققوه بغياً ، ومعاوية ينتظر ما ستسفر عنه الحرب حيث يرى نفسه الرابح في كل الأحوال ، فكيف ما تسفر عنه الحرب سيكون هو الرابح منها بتخلصه من أحد الغرماء .

وصل عثمان بن حنيف والي الإمام علي على البصرة الى ذي قار ، حيث ينتظر الإمام مدد أهل الكوفة ، فروى عثمان ما حصل له ولأنصاره والمجازر التي ارتكبها أهل الجمل عند تمكنهم من البصرة ، وشاهد الإمام ما جرى لواليه من تحقير وتوهين والذي يعني أن القوم سادرين في غيهم وليسوا تاركين الغدر الذي تعهدوا عليه ، وليسوا بعتريفي بخلافته على المسلمين ، ولا أدل على ذلك ما فعلوه بواليه وهو يمثل شخص الخليفة الذي ولاه . فهل يعقل أن أي شخص ذو عقل وادراك يقبل على نفسه أي يتخلى عن أنصاره وأعوانه الذين جادوا بحياتهم في سبيل نصرته ، وليس

الخليفة الذي يتوجب عليه أن يحق الحق وينصف المظلوم ويقتص من الظالم والمعتدي ، وها هو الإمام يقف مباشرة على موقف الجماعة ، أهل الجمل ، ليتيقن بأنهم عازمون على المضي في عصيانهم بعد كل ما فعلوه ، على أن الطبري الذي استقى ما سرده من حديث عن أن السبائية هم الذين تآمروا وأشعلوا نار الحرب ، وقال أن القعقاع بن عمر التميمي كان قد أوفده الإمام علي للوقوف على رأي طلحة والزبير ،وحثهم على الصلح ، والتقى بهما وتحاورا ، لكن لا يستدل من القصة - المشكوك بها - أن الإتفاق كان قد حرر ،وثبتت بنوده ،كما حدث مع اتفاق أهل الجمل وعثمان بن حنيف ، لكن الدينوري يروي قصة حرب الجمل على حقيقتها دون ذكر السبائية وتآمرهم كما فعل الآخرون ممن كتبوا في تواريخهم عن حرب الجمل ، سيف بن عمر التميمي ، الذي دس عبد الله بن سبأ بين تلك الأحداث "

" وأقام علي رضي الله عنه ثلاثة أيام يبعث الى أهل البصرة ، فيدعوهم الى الرجوع الى الطاعة والدخول في الجماعة ، فلم يجد عند القوم إجابة . فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من جمادي الآخرة ، وعلى ميمنته مالك الأشتر ، وعلى ميسرته عمار بن ياسر ، والراية العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية ، ثم سار نحو القوم حتى دنا بصفوفه من صفوفهم ، فواقفهم من صلاة الغد الى صلاة الظهر ، يدعوهم ويناشدهم وأهل البصرة وقوف تحت راياتهم ، وعائشة في هودجها أمام القوم . "(25)

وكان الإمام علي قد أرسل رسلاً الى طلحة والزبير ليثنيهما عن ما كانا يخططان له ، العصيان ونكث البيعة " أرسل الإمام صعصعة بن صوحان وعبد الله بن عباس الى طلحة والزبير . فلم ينجحا " .

وكان الإمام علي (ع) قد أنفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل لعله يجد الى تصلبه مدخلاً لمنع انفجار الدم "لا تلقين طلحة ، فإنك ان تلقه تجده كالثور ، عاقصاً قرنه ، يركب الصعب ، ويقول : هو الذلول ؛ ولكن إلقَ الزبير ، فإنه ألين عريكة ، فقل له : يقول ابن خالك ، عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا " (26)

لقد كان الموقف الذي اتخذه كلٌ من طلحة والزبير تقف خلفه دوافع مصلحية وأنانية واضحة يلمسها كل ذي ضمير وإنصاف ، فقد طلبا من الإمام أن يوليهما بعض الأمصار الإسلامية فرفض ذلك ، فوقفا من الإمام ذلك الموقف الذي أدى الى هدر الدماء وازهاق الآلاف من الأرواح " وأراد طلحة أن يوليه البصرة، وأراد الزبير أن يوليه الكوفة " (27) فلم يفعل الإمام (ع) ذلك .

وقال الطبري ، وينقل عنه ابن أبي الحديد في نهجه ج11 ص 17 : لما بايع طلحة والزبير علياً عليه السلام ، سألاه أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة، فقال : بل تكونان عندي أتجمل بكما ، فانني أستوحش لفراقكما .

وعلى الصفحة 16 من المصدر نفسه يذكر ابن أبي الحديد أن طلحة والزبير كانا قد أرسلا محمد بن طلحة الى الإمام علي ، يخبره انهما لم يكونا يتوقعان أن يروا الإمام لا يأخذ بمشورتهما ، يعتمد الأشتر وعمار وغيرهم من المهاجرين والأنصار دونهما ، طلب الإمام من محمد في آخر

المحاورة التي جرت بينهما أن يسألهما عما يريدانه منه ، عاد محمد اليهما وسألهما عن رغبتهما ، عاد محمد الى الإمام وقال له " انهما يقولان ولّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة ! فقال : لاها الله ! إذن يحلم الأديم ، ويستشري الفساد ، وتنتقض علي البلاد من أقطارها والله اني لا آمنهما وهما عندي بالمدينة ، فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقين ؟" (28). فعدم تولي طلحة والزبير ولايتي البصرة والمدينة كانت من الأسباب الرئيسية التي وقفت وراء ذلك الموقف المعادي للإمام علي ،كما كانت ولاية الري سبباً في وقوف عمر بن سعد بن أبي وقاص موقفه المشهور في واقعة الطف في كربلاء والذي أدى الى استشهاد الإمام الحسين (ع) .

لقد كان الإمام علي (ع) ممسكاً بزمام الإمور ويدير المعركة بسيطرة واضحة ، ولديه قادة مطيعين وهبوا حياتهم في سبيل نصرته ، ولو أن مالك الأشتر ، وهو الذي اتهمته بعض المصادر بأنه كان خاضعاً لنفوذ عبد الله بن سبأ ، من النوع الذي يخطط مع بعض من رفاقه بمعزل عن ما يريده الإمام ، لما أوقف القتال في معركة صفين وكان النصر بين يديه قاب قوسين أو أدنى ، فالسبب الذي من أجله دفع الأشتر الى البدء في المعركة كان ماثلاً في حرب صفين ، ومعاوية كان يطلب الأشتر لأنه كان يتهمه بالمشاركة في قتل عثمان .. وعندما التقى ابن عباس الزبير كان المتحدث نيابة عنه ابنه عبد الله الذي كان لا يرى الحل الاّ في استخدام القوة ، وقال ابن الزبير مخاطباً ابن عباس وهو يرد عليه لا يترك مجالاً لأن يسود السلم " قل له بيننا وبينك دم خليفة ووصية خليفة ، واجتماع اثنين ، وانفراد واحد ، وام مبرورة ، ومشاورة الشعيرة ، قال (يعني ابن عباس) : فعلمت أن ليس وراء هذا الكلام الاّ الحرب ، فرجعت

الى علي عليه السلام فأخبرته"(29) . وكان عبد الله بن الزبير أشد مناكدة واصراراً على الحرب لطمعه في أن تسفر بإنتصار الجماعة فتعينه خالته عائشة على تبوء مركزاً مرموقاً عند سقوط النظام الجديد ، وهي سبق لها أن وقفت الى جانبه عندما إختلف أهل الجمل على من يتقدم القوم في الصلاة ، مما كاد أن يخلق فتنة بينهم ، أسرعت عائشة الى وئدها قبل أن تستفحل بتعيينها لعبد الله بن الزبير اماماً للجماعة ، وهو منصبٌ خطير في ذلك الزمن يهيؤ صاحبه الى يبؤ قيادة الدولة ، وقد وصف الإمام (ع) الزبير مرة فقال " ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله" (30).

وقبل بدء المعركة كان الإمام يأمل في أن يثوب القوم الى رشدهم على الرغم من نصحه لهم وجهاً لوجه ، وعدم انصياعهم له ، فنادى على أحد مقاتليه بالخروج الى القوم يحمل القرآن ويدعوهم الى السلم فرموه بالنبل فقتلوه " أخرج علي فتى من جيشه يحمل القرآن فقتلوه " (31) ، وهو أول قتيل في معركةالجمل ويدعى سلم الجهني ، وهو ما يبطل ادعاءآت الذين كتبوا التاريخ زوراً خدمة للسلاطين من أن المعركة كانت قد بدأت بتدبير من السبائية !! فلم يذكر التاريخ أن أحداً قد مات قبل سلم الجهني، وكان الإمام سلام الله عليه يلقي على القوم الحجج حتى اللحظة الأخيرة ، فكيف حدث أن أخرج الإمام ذلك الفتى إذا كان السبئية قد سبقوه الى اشعال الحرب ؟.

إذا لم يقتنع الذين قالوا بقصة السبئية ، بكذبها وأنها كانت قد نسجت من قبل خيال مريض ، مما أوردناه آنفاً فاننا نزيد له في ذكر حادثة أخرى، كان الإمام علي (ع) حريصاً على أن لا يبدأ جنده بأي

نشاط حربي ، وبينما كان الجيشان يصطفان للمواجهة كانت توجيهاته الى جيشه أن لا يكونوا أول من يبدأ الحرب حتى لو بدأها الخصم وكلفهم ذلك بعض الخسائر ، أملاً بأن يعود القوم الى ثوابهم " قال علي عليه السلام لأصحابه : لا يرميَّن رجلٌ منكم بسهم ، ولا يطعن أحدكم فيهم برمحٍ ، حتى أحدث اليكم (حتى أخبركم) ؛ وحتى يبدؤكم بالقتال والقتل ، فرمى أصحاب الجمل عسكر علي عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً ، فضج اليه أصحابه ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجئ برجل اليه ، وانه فسطاط له صفير ، فقيل له هذا فلان قد قُتِل . فقال : اللهم أشهد ، اعذروني الى القوم ، فاتي برجلٍ آخر فقيل : وهذا قد قُتِل ، فقال : اللهم اشهد ، اعذروني القوم ، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي علي عليه السلام ، وقال : يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قُتِل ؛ فعند ذلك استرجع عليه السلام ، ودعا بدرع رسول الله " شرح النهج ج9 ص 111 ، فهل حقاً ان الحرب كان قد بداها من سموا السبئية ؟ أم أن القوم من أهل الجمل كانوا قد صمموا على خوض الحرب ؟ ولم ينفع معهم كل محاولات الإمام منعها وايقافها حتى اللحظات الأخيرة ، كما يظهر واضحاً أن قادة جيش الإمام (ع) كانوا لا يخالفون له رأياً ، وعبد الله بن بديل أحدهم وأبرزهم جاء يحمل أخيه قتيلاً وشكى لقائده فقده دون أن يتصرف خارجاً عن طاعته ،ولقد كان أهل الجمل مصممون على القتال فما فعلوه بأصحاب الإمام من أهل البصرة والقتل والمذابح التي

لحقتهم خير دليل على أن الجماعة كانت قد قررت مسبقاً أن تحسم الأمر عن طريق الحرب وسوف لن يثنيها أي شيئ عن ذلك.

وبدأت الحرب ، وكان أهل الجمل يقاتلون بكل ما أُتوا من قوة " فلما رأى علي شدة صبر أهل البصرة جمع اليه حماة أصحابه ، فقال : إن هؤلاء القوم قد محكوا (المحك : التمادي بالغضب) فاقصدوهم القتال ، فخرج الأشتر وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وعمر بن الحمق في عدد من أصحابهم " (32).

وكان الإمام قد التقى الزبير وذكره بحديث الرسول الكريم معه ، وقال له" أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم فنظر الي فضحك ، وضحكت اليه ، فقلت له : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال : ليس به زهواً لتقاتله وأنت له ظالم " (33).

ويتراجع الزبير ويترك ساحة المعركة بعد أن دخل برمحه صفوف جيش أهل العراق ، ولم يعترضه أحدٌ كما أوصى الإمام علي جيشه ، وينسحب خارج ساحة المعركة بعد أن شعر بخطأه ، واتجه الى وادي قريب تبعه حرقوص بن زهير الذي اغتاله وسلبه سيفه .

وكان الزبير قد خرج يطلب المبارزة ، فخرج اليه عمار بن ياسر " حمل عمار على الزبير يوم الجمل ، فجعل يحوزه بالرمح ، فقال : أتريد أن تقتلني ؟ قال لا ، إنصرف " الطبري مجلد 4 ص 512. ، وكان الزبير قد علم بوجود عمار في معسكر الإمام علي عليه السلام ، فأخذته الهواجس " وأن الزبير لما علم أن عماراً مع علي رضي الله عنه ارتاب بما كان فيه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحق مع عمار ، وتقتلك الفئة

الباغية)" (34) . وهو ما جعل الزبير يتراجع في مبارزة عمار كما ذكرنا آنفاً .

كان ابن اليثربي أحد رؤوس جيش أهل الجمل ، وكان قد ادعى بأنه قد صرع علباء بن الهيثم وزيد بن صوحان ،وهم من خلص أعيان جيش أهل الكوفة ، وأخذ يتوعد ويرعد، فخرج اليه عمار " فناداه عمار : لقد لعمري كذت بحريز ، وما اليك سبيل ، فان كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة اليَّ ، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي ، فزحم الناس عماراً حتى أقبل اليه ، فاتقاه عمار بدرقته ، فضربه فانتشب سيفه فيها ، فعالجه فلم يخرج ، فخرج اليه عمار لا يملك من نفسه شيئاً ،فأسَتَّ عمار لرجليه فقطعهما " (35). واسر ابن اليثربي ، وجيئ به الى الإمام الذي أمر بقتله جزاء له على بغيه .

يروي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، ج 1 ص265 قصة مقتل ابن اليثربي الذي كان من فرسان أهل الجمل وشجعانهم على يد عمار فيقول : وكان - عمر بن يثربي - قد قتل عدداً من أصحاب الإمام ، وخرج يطلب المبارزة ، ((فأُختلف في قاتله ، فقال قومٌ : ان عمار بن ياسر خرج اليه والناس يسترجعون له (يشفقون عليه) ، لأنه كان أضعف من برز اليه يومئذ . أقصرهم سيفاً ، وأقصفهم رمحاً ، وأحمشهم (أكثرهم دقة) ساقاً ، حمالة سيفه من نسعة (سير عريض) الرحل ، وذباب (حد السيف) سيفه قريب من ابطه ، فاختلفا ضربتين ، فنشب سيف ابن يثربي في جحفة (ترس من الجلد والخشب) عمار ، فضربه عمار على رأسه فصرعه (تمكن منه لكنه لم يمت) ، ثم أخذ برجله يسحبه حتى

انتهى به الى علي عليه السلام ، فقال (ابن يثربي) : يا أمير المؤمنين ، استبقني أجاهد بين يديك ، واقتل منهم مثل ما قتلت منكم ،فقال له علي عليه السلام : أبعد زيد وهند وعلباء (وهم من جيش أهل الكوفة كان ابن اليثربي قد قتلهم في المبارزة) أستبقيك ! لاها الله اذاً ! قال (ابن يثربي مخادعاً الإمام عليه السلام) فادني مني أُسارك : قال له : أنت متمرد ، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين ، وذكرك فيهم . فقال أما والله لو وصلت اليك لعضضت أنفك عضة أينتّه منك ، فأمر به علي عليه السلام فضربت عنقه)) . وابن أبي الحديد كان يريد أن ينقل لنا صورة الإستضعاف الذي كان يعيشه عمار بن ياسر وهو مع كل ما فيه كان أول المجاهدين والمقاتلين وصفوة الصحابة وأحبهم الى قلب النبي (ص).

ويقود الإمام جيشه في المعارك من الخطوط الإمامية ، ويحمل بنفسه على جيش العدو يشق صفوفه ويبعث فيه الذعر ، غير هيابٍ للمخاطر التي يمكن أن يتعرض لها وهو المطلوب من الزمرة التي تطمع في الخلافة والإمارة، حتى أن أصحابه تأخذهم الشفقة عليه ، لأدراكهم أن اصابته في المعركة سوف تترك آثاراً حاسمة على نتيجتها ، وبعد أن حث الإمام ابنه محمد ابن الحنفية على التقدم نحو جيش أهل الجمل ، لكن ابن الحنفية لم يستطع أن يتقدم نحوهم بسبب شدة الرمي بالنبال الذي كان يرميه جيش أهل الجمل عليه ، ففضل الإنتظار لحين نفاذ سهامهم ، أدرك الإمام أن عليه أن يحث ابنه على التقدم وعدم الإبطاء ، فتقدم نحوه ووضع يده اليسرى على منكبيه وقد غضب منه ، وأسمعه خشن الكلام ،لكنه سرعان ما عطف على ولده ، فأخذ الراية منه بيده اليسرى وسيفه

ذو الفقار بيده اليمنى وتقدم ليخوض في جيش أهل الجمل ، وشق صفوف جيشهم في قتال شديد حتى أن سيفه كان قد انثنى بعد عودته ، وبعد أن أقامه على ركبتيه تقدم مرة أخرى وفعل الشيئ نفسه " فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين " (36)

وكانت معركة الجمل قد احتدمت في يومها الثالث ، وكثرت الخسائر بين الطرفين المتحاربين ، وقد نظر الإمام للموقف فوجد أن القتال سوف لن يتوقف ما دام الجمل واقفاً بين صفوف أهل الجمل الذين التفوا حوله يدافعون عنه ، فنادى على جيشه ،" قال : ارشقوا الجمل بالنبال ، واعقروه والاّ فنيت العرب ، ولا يزال السيف قائماً حتى يهوي البعير الى الأرض" (37) ، وقطعوا قوائمه ، ثم ضربوا عجزه فهوى الى الأرض محدثاً صوتاً رهيباً ، بئس من جملٍ كان وقد شُبِّهَ بعجل بني اسرائيل ، فتفرق من كان حوله من جيش عائشة .

أما ابن أبي الحديد فيروي قصة مقتل الجمل بتفصيل أكثر " قال علي عليه السلام : لما فني الناس على خطام الجمل ، وقطعت الأيدي ، وسالت النفوس ، أُدعوا لي الأشتر وعماراً ، فقال إذهبا فاعقرا هذا الجمل ، فإن الحرب لا يبوخ (يخمد) ضرامها ما دام حياً ؛ انهم قد اتخذوه قبلةً ، فذهبا ومعهما فتيان من مراد . يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله ، فما زالا يقربان الناس حتى أخلصا اليه ، فضربه المرادي على عرقوبيه ، فأقعى وله رغاء ، ثم وقع لجنبه ، وفر الناس من حوله ، فنادى علي عليه السلام : اقطعوا أنساع الهودج ، ثم قال لمحمد بن أبي بكر : أكفني أختك ، فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي " (38) وهو من أنصارها من أهل البصرة.

وبعد أن سقط الجمل أمر الإمام محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر بفك هودج عائشة وافلاتها منه " أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل ، فقطعا غرضة الرحل ، [الغرضة : وهو للرحل كالحزام للسرج] ، واحتملا الهودج ، فنحياه حتى أمرهما علي فيه أمره فيما بعد ، قال ادخلاها البصرة ، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي " (39) وهو من أنصارها ..

وكان الإمام قد أمر أن يعدم الجمل ويحرق " وأمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح . وقال عليه السلام : لعنه الله من دابة : ما أشبهه بعجل بني اسرائيل ، ثم قرأ : ((وانظر الى الهك الذي ظلْتَ عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً)) " (40) .

وكان قتلى أهل البصرة ، جيش الجمل ، قد بلغ عشرة آلاف ، أي ما يقرب من ثلث مجموع الجيش ، أما خسائر جيش أهل العراق فقد بلغت خمسة آلاف ، أي ما يقرب من ربع الجيش ، اضافة الى القتلى من أنصار الإمام من أهل البصرة وأنصار عائشة في المعركة الأولى الذي يزيد على الألف ، فهل كان من الحق أن تهدر كل تلك الدماء التي اريقت بدعوى الأخذ بثأر قتيل واحد ؟ وهل يرضي الله ذلك ؟ أم هي إرادة الطامعين الناكثين للعهد؟.

من أغرب اشواهد على على أن أهل الجمل أنهم هم من كان قد ألّب وتآمر على عثمان ونادى المسلمين أن يقتلوه فهذه أم المؤمنين التي رفعت راية العداء للإمام علي وإعلان الحرب عليه قد قالت " أَقتلوا نعثلاً فقد كفر " واتهمته بأنه قد غيّر سنة النبي قبل أن يبلى لباسه ، لكنها لما علمت بمقتل عثمان وأن الإمام علي قد تولى الخلافة أعلنت أنها سوف

تأخذ بثأر عثمان وأعلنت الحرب على الإمام دون أن تراعي حرمة دماء المسلمين كرهاً وحقداً عليه ،والزبير وطلحة قد بايعا الإمام أمام الأشهاد لكنهما إدعا بأنهما قد بايعا تحت التهديد بالقتل وهي فرية بينة لأن الإمام لم يغصب أحداً على بيعته ولم يبايعه عدد من قريش ولم يفعل شيئاً لهم ، فلم يبايع سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة وآخرين غيرهم ،لكن الجميع طمع في الحصول على غايته والذي لم يكن الإمام ليسمح به ،فثارت ثائرتهم عندما سنحت لهم الفرصة.

جهاد عمار بن ياسر في صفين

كان عمار بن ياسر قائداً أساسياً من قادة الإمام علي (ع) في معركة صفين ، فعندما تحول القتال في صفين من قتال مجموعات قليلة في أيام المعركة الأولى ، يقودها أحد قادة الإمام في يوم وقائد آخر في يوم آخر،الى قتال تعبئة على مستوى القوات المتقابلة ، عقد الإمام (ع) الألوية وقام بتعيين آمري المجموعات القتالية ، وهو ما كان يطلق عليه تأمير الأمراء ، كان عمار بن ياسر قد تمَّ تعيينه قائداً لقوات الفرسان ، وهي القوات التي تشكل رأس الحربة في كتلة الجيش ، وهو ما يمكن تسميته بقوات الصدمة ، بل إن جيوش بعض الدول الكبرى قد ظلت تطلق على قواتها المدرعة ,,قوات الخيالة ,, ،لأن القوات المدرعة قد احتلت مكان قوات الخيالة وأصبحت تؤدي الدور المهم الذي كانت تنجزه ، " واستعمل عليٌ على الخيل عمّار بنَ ياسر " (41) وفي قتال اليوم الثالث من المعركة كان عمار أيضاً قائداً لخيالة جيش الإمام " وكان مع عمارٍ زياد بن النضر على الخيل "(24) ، كما قاد المشاة أيضاً مما يدل على الدور الذي أداه رضوان الله تعلى عليه في تلك الحرب ، ففي يومٍ آخر من أيام

صفين كان عمار يقود كتلة من مشاة الإمام علي "وذكر عن فُضَيل بن خَديج أن عليًّا عليه السلام بعث على خيل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنيف ، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر "(34) ، بل أن معاوية كان يَبْرُم من عمار بَرَماً شديداً ، واعتبر مقتله من الأُ مور التي احتجَّ بها لدى أهل الشام الذين تذمروا من كثرة الخسائر التي أُصيبوا بها وفقدانهم لعدد من قادتهم البارزين " قال :جزع أهل الشام على قتلاهم جزعاً شديداً ، فقال معاوية بن خديج :يا أهل الشام ،قبح الله مُلكاً يملكه المرء بعد حوشب وذي الكلاع (وهما من قادة الصف الأول من جيش معاوية) والله لو ظفرنا بأهل العراق بعد قتلهما بغير مؤونة (يقصد بدون بذل الجهد) ما كان ظفراً ، فقال معاوية ((يا أهل الشام ، ما جعلكم أحقَّ بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم، فوا الله ما ذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم " (44)

وذلك مما يدلل ما لعمار بن ياسر من منزلة عظيمة في قلوب أهل العراق ونضال عنيد وغصة في قلوب أهل الشام الذين أراد معاوية أن يخفف من جزعهم على قتلاهم والمبرزين من قادتهم ورؤساؤهم ،وإن لعمار دور في المعركة واضح التأثير ولقدرته على تنفيذ الواجبات في قيادة قوات مختافة من الفرسان الى المشاة مما يدل على قدرته وخبرته في التناوب على تلك القوات وربما كانت تلك الخبرة قد اكتسبها في معارك الفتوح الأولى.

وليس أدل ما كان له من منزلة في قلوب أهل الشام أنهم كانوا يذكرون في شعرهم ما لعمار بن ياسر من تأثير عليهم في القتال والدعوة لحق الإمام علي (ع) ،فمن قصيدة نظمها أحد أعوان معاوية من جيش

الشام ، ولد المغيرة بن الأخنس ، يبين فيها ما أحدثه بعض قادة الإمام من المكاره على أهل الشام :

حكيم وعمارالشجا ومحمدٌ وأشترُوالمكشوح جروا الدواهيا

وقد كان فيها للزبير عجاجةٌ وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا

وفي لقاء جمع معاوية مع عدد من الذين أوفدهم الإمام علي (ع) ممن كان معه في صفين ومنهم عدي بن حاتم الطائي وشبث بن ربعي ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة قال شبث بن ربعي مخاطباً معاوية : " أيسرك بالله يا معاوية أن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته ؟ قال : وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكني صاحبكم من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت أقتله بنائل مولى عثمان بن عفان" (5 4) ولقد كان عمار رضوان الله تعالى على رأس المطلوبين لمعاوية بدعوى أنه كان ممن ألبوا وشاركوا في قتل عثمان ، ولم يكن عمار، في واقع الحال ، مشاركاً في تلك الواقعة ،لكن كره معاوية وحقده عليه كان بسبب كونه من أعظم المخلصين والذابين عن الإمام والمدافعين عن حقه ،ومن أشد المتحمسين لقتال عدوه.

عندما أراد الإمام علي (ع) المسير الى الشام لإخضاع عاصيها معاوية بن أبي سفيان على سلطة الخلافة الشرعية ، عقد مؤتمراً موسعاً لقادته لمناقشتهم في الأمر والإطلاع على مختلف الآراء كي يتخذ قراره النهائي باعلان الحرب ،وكان أن بدأ حديثه مخاطباً " أما بعد فإنكم مَيامِينُ الرأي ، مراجيح الحِلم ، مقاويل بالحق ، مُبارَكوا الفعل والأمر . وقد أردنا المسير الى عدُّونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم " (6 4)، فقام قادته الواحد تلو الآخر يمتدحون صفاته وسابقته في الإسلام ، و يبدون

استعدادهم للوقوف معه مهما كلّف ذلك منهم من التضحيات ، وكان منهم هاشم بن عتبة المرقال، ومالك الأشتر وعبد الله بن بديل الخزاعي وزياد بن النضر، وقيس بن سعد بن عبادة سيد الأنصار ،وسهل بن حنيف ، وكان عمار بن ياسر من بينهم، فقد قام وبعد أن حمد الله قال "ياأمير المؤمنين ، إن استطعت ألاّ تقيم يوماً واحداً فافعل قبل استعار نار الفجَرَة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعُهم الى رشدهم وحظّهم . فإن قبلوا سَعدوا ، وإن أبوا إلاّ حربنا فوالله إن سفك دمائهم ، والجِدّ في جهادهم ، لقربة عند الله ، وهو كرامةٌ منه "(4 7) .

وعمار كان قد ادرك ما للوقت من تأثير حاسم في الحرب ،فكان رأيه الإسراع في مهاجمة العدو قبل أن يتهيأ ويوحد قواه ، ويجمع المزيد من الأنصار حول دعاوى متهافتة يلتف حولها الجهلة والحاقدون ،ففي الحروب الحديثة أيضاً يؤخذ عامل الوقت كعنصر حاسم في وضع خطط المعركة، وساعة شروعها ، ويدخل عامل الوقت والمسافة عاملاً مهماً في وضع تقدير الموقف العسكري ودراسة عناصره للوصول الى أفضل استنتاجات ، وعمار قد أدرك قبل غيره من قادة الإمام تلك الحقيقة وأشار اليها بوضوح .

لكننا يجب إن نتذكر أن عدداً من الذين حضروا ذلك المؤتمر كانوا يتآمرون ، ويكاتبون معاوية خلسة ، ومنهم أربد الفزاري الذي قال للإمام (ع) " أتريد أن تسير بنا الى اخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك ، كما سرت بنا الى اخواننا من أهل البصرة فقتلناهم . كلاً ها الله إذاً لا نفعل ذلك " (4 8). وقد هرب الفزاري بعد قوله ذلك فلحقه الناس وضربوه بأيديهم وأرجلهم وكعوب سيوفهم حتى مات فاعتبر موته مجهولاً لأن

كثير من أهل خلائط قبائل العراق اشتركت في قتله ، فدفعت ديته من بيت المال ، كما كان موقف اثنين آخرين من الحاضرين مشابهاً أيضاً ، وهما عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي الذي لم يخرج للقتال في البصرة ، وهرب فيما بعد الى معاوية بثلاثة وعشرين رجلاً لكنه لم يقاتل معه أما ابن المعتم فكان قد هرب هو الآخر أيضاً ومعه أحد عشرمن قومه بني عبس ، وكان بعض أصحاب الإمام علي قد أقترحوا عليه حبسهما حتى تنتهي المعركة ، فأبى ذلك مع علمه أنهم سيهربون الى معاوية لأنه كان قد أُخبر بأنهما يتصلان به سراً، لكن أخلاق الإمام علي (ع) لم تكن لتسمح له بمعاقبتهما على الظنة كما يفعل بعض قادة ذلك الزمان وأغلب قادة هذا العصر، فقال الإمام لهما "الله بيني وبينكم ، واليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم .أذهبوا حيث شئتم " (9 4) ولعمري فان ذلك كان قمة الخلق الرفيع الذي لم يؤتيه إلاّ القليل من الخلق ،الأنبياء والرسل.

وسار جيش الإمام عابراً الكوفة يوم الأربعاء لخمس مضين من شوال عام 36 للهجرة، وهو نفس العام الذي دارت فيه معركة الجمل ، فقطع نهر الفرات حتى وصل دير أبي موسى الذي كان يقع على بعد فرسخين من الكوفة وواصل التقدم حتى وصل بابل، ويبدو أن عسكر الإمام كان في الجانب اليمن من النهر ، وأن تحشده كان في المنطقة المعروفة ,,النخيلة ,, ثم اتجه شرقاً نحو نهر دجلة فوصل الى منطقة بغداد الحالية ماراً في منطقة المدائن ، ثمَّ انعطف نحو الأنبار وسار مع الضفة اليسرى لنهر الفرات مرة ثانية ماراً في مناطق هيت وحديثة ومنها الى عانات حتى وصل الجزيرة التي تمتد نحو الشام ،وصل الجيش الى الرقة حيث رفض

أهلها تجسير الفرات ليعبر منه جيش الإمام نحو صفين حيث يحتشد جيش أهل الشام ، أما الأشتر فقد اشتاظ غيضاً من موقف أهل الرقة فهددهم بأقسى العواقب إن هم لم يجسروا ليعبر الجيش فخافوه وأسرعوا ببناء الجسر حيث عبر جيش أهل العراق نحو صفين ، وقد ذكرنا بكتابنا الموسوم ,,الإمام علي والحرب ..تفاصيل كثيرة عن الأحداث التي تلت العبور وبدء المناوشات ومنع جيش أهل الشام جيش العراق من أن يورد الماء ، ولسنا بحاجة الى تكرار ذلك في كتابنا هذا الذي اختصينا به الصحابي عمار بن ياسر وهو ما سنسير على منواله .

بدأالقتال بين الجيشين فعلياً عندما حل شهر ذوالحجة ،حيث بدأ على شكل مناوشات بين مجموعات محدودة من المقاتلين .

لم يكن اعلان الحرب ، في واقع الأمر ، إلاَّ عند حلول شهر صفر سنة سبعة وثلاثين ، الأربعاء الأول من صفر ، حيث جمع الإمام علي عليه السلام بعض قادته في منطقة قريبة من معسكر معاوية حيث يسمعه جيشه ، وقد كلف الإمام أحد قادته بأن ينادي بأعلى صوته ليُسْمِع أهل الشام بأن الإمام يعلن الحرب ، وأن عليهم أن يتهيأوا لذلك، وهو طالما قد فعل ذلك في معركة صفين ، وكان يعبئ قواته ويجعلها تأخذ شكل التعبئة

استعداداً للمعركة في صباح اليوم التالي ويعقد الألوية ويعين القادة الذين كانوا يسمون الأمراء ، منهمكاً الليل كله في ترتيب ذلك ، وما أن يأتي الصباح حتى يبعث الى أهل الشام منادياً أن استعدوا للحرب ، " فلما كان الليل خرج علي فعبأ الناس ليلته كلها حتى أصبح ، وعقد الألوية ، وأمَّر الأمراء ،وكتَّب الكتائب ، (وتلك كانت عادته في اعداد جيشه ليلة

المعركة. وبعث علي منادياً فنادى : يا أهل الشام اعدوا على مصافّكم " (50)، وهو أمرٌ لم يسبقه اليه أحد، يعطي للمتتبع صورة عن طبيعة سلوك الإمام في الحرب وهو غاية في التمسك بقيم الفروسية والإبتعاد عن الغدر والأساليب التي تعافها النفس النبيلة ، وبعد أن عين الإمام القادة وعين لهم مهامهم القتالية وأمَّر كل واحدٍ منهم على مجموعة ،وأصبح الجيشان وقد اتخذا وضع الإنفتاح للمعركة ، ويصطف الجيشان أحد عشر صفاً لكل منهما ،فكان الأشتر قائداً لجيش الإمام في اليوم الأول ،وقاده هاشم بن عتبة في اليوم الثاني ، ثمَّ جاء دور عمار بن ياسر ابن الثلاثة والتسعون عاماً ليقود جيش الإمام في اليوم الثالث ، " وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج اليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشدِّ القتال ، وجعل عمار يقول ((ياأهل الإسلام ، (يقصد أهل العراق) أتريدون أن تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسول الله أتى النبي صلّى الله عليه ، فأسلم وهو والله فيما نرَى راهب (أي خائف) غير راغب ؛ وقَبض الله رسوله صلى الله وإنّا واللهِ لنعرفه بعداوة المسلم ومودّة المجرم ؟ ألا وإنه معاوية ، فالعنوه لعنه الله ، وقاتلوه فانه ممن يطفئ نور الله ، ويظاهر أعداء الله " (51)، وكان مع عمار في ذلك اليوم زياد بن النضر على خيل أهل العراق ، فأصدر عمار أمراً لزياد أن يحمل في الخيل ،فحمل زياد على جيش أهل الشام فكانت معركة حامية الوطيس صبر لها أهل الشام ولم يتراجعوا ،"وشدَّ عمار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه " (52).

لقد كان قلبُ عمار بن ياسر لا يحمل ذرة واحدة من الشك في أن موقفه كان هو الحق بعينه وأن عليه أن يبذل كل ما في وسعه في تلك المعركة الشرسة لنصرة الحق وأهله، وبقلبٍ عامرٍ بالإيمان خاض غمار تلك الحرب، لذلك فقد كان، و قد أصبح شيخاً طاعناً في السن قد تجاوز التسعين عاماً، يقاتل بتلك الشجاعة النادرة والإندفاع والحيوية، ففي معركة صفين كان أحدٌ من أهل العراق قد سأله فيما اذا كان معاوية وأبوه قد أسلموا فوجب أن تعصم دماؤهم وأموالهم كما ورد في أحد أحاديث النبي (ص) فقال عمار "بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً" (53)، وكان الإمام علي (ع) يخطب بين جنوده ، كلما سنحت الفرصة له ، ليشحذ هممهم ويرفع معنوياتهم وكان من خطبة له " أيها الناس ، إسمعوا مقالتي ، وعُوا كلامي ؛ فإن الخيلاء من التجبر ، وإن النخوة من التكبُّر ،وان الشيطان عدوٌ حاضر ، يعدكم الباطل ، (الى أن يقول)الا وان من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص السهمي ، أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما ، وقد علمتم أني لم أُخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، ولم أعصِهِ في أمر قط . أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال وتُرعَد فيها الفرائص نجدةٌ أكرمني الله بها ؛ فله الحمد ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه في حجري ؛ ولقد وليت غسله بيدي وحدي ، تقلبه الملائكة المقربون معي. وأيم اللهِ ما اختلفت أُمةٌ قط بعد نبيها إلاّ ظهر أهلُ باطلها على أهل حقها، إلاّ ما شاء " (54) ، فانبرى عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه قائلاً

وهو يخاطب الجيش تعقيباً على ما قاله الإمام " أما أمير المؤمنين فقد اعلمكم أن الأمة لن تستقيم عليه أولاً ولن تستقيم عليه آخراً " (55) .

وتوالت المعارك بضراوة يوماً بعد آخر، لا تفتر إلاّ بعد حلول الظلام حيث يتحاجز الطرفان كلٌ الى معسكره ، فكان أعداد القتلى من الطرفين قد أخذ بالإزدياد ، وسقط عدد من قادة الإمام علي شهداء في تلك المعارك الطاحنة ، عبدالله بن بديل الخزاعي الذي أقسم أن يصل الى خيمة معاوية ليقتله فيضع حداً لسفك الدماء وينهي المعركة،فكان أن وصل اليه وأشرف من فوقه وكاد أن يزهق روحه لولا أن أعوان معاوية الذين كان يناديهم مستنجداً كانوا يرمون عبد الله بن بديل الخزاعي بالحجر بعد أن عجزت سيفهم أن تصله ، فسقط شهيداً ،كما استشهد زياد بن النضر قائد مقدمة جيش الأمام التي كانت تقود جيش الإمام نحو صفين كقوة طليعة تستطلع الأرض وأخبار العدو ، ويزيد بن قيس وآخرين ، وكان ذلك في يوم الخميس ، لسبع خلون من صفر من سنة سبع وثلاثين ، وكان على ميمنة جيش الإمام يومئذ " صلى علي ففلس بالغداة ، ما رأيت علياً غلّس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ ، ثم فخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهم ، وكان يبدؤهم فيسير اليهم ، فاذا رأوه وقد زحفَ استقبلوه بزحوفهم (ثم دعى الإمام يطلب من الله النصر على عدوه الذي لن يبغي عليه ان تحقق ذلك ،واذا استشهد في المعركة فانه يطلب من الله جلت قدرته أن يجنب أصحابه الفتنة) . قال : فلما رأوه وقد أقبل خرجوا اليه بزحوفهم ، وكان على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس وقراء العراق مع ثلاثة نفر : مع عمار بن ياسر ، ومع قيس بن سعد ، ومع عبد الله بن يديل ،

والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعليٌ في القلب في أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة ، وعظم من معه من أهل المدينة الأنصار ، ومعه من خزاعة عددٌ حسَن ، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة "(56) ، وكان القتال قد وصل الى ذروته وكانت الحمية قد بانت واضحة على جيش أهل الشام الذين كانوا يتفاخرون على أهل العراق بمن معهم ، " نادى منادي أهل الشام : ألا إنَّ معنا الطيب بن الطيب ، عبيد الله بن عمر . فقال عمار بن ياسر : بل هو الخبيث بن الطيب . ونادى منادي أهل العراق : ألا وان معنا الطيب بن الطيب ، محمد بن أبي بكر . فنادى منادي أهل الشام : بل هو الخبيث بن الطيب"(57) ، وكان عمار بن ياسر رحمة الله عليه لا يترك فرصة إلاّ ويهتبلها لرفع معنويات جيش الإمام يعرفهم أن عدوهم يدعي زيفاً بطلب دم عثمان وأن هدفهم هو الدنيا وبهرجها وأنهم يتوجب قتالهم شرعاً وعقلاً ، وأن على جنود الحق جيش الإمام علي أن يندفعوا لإجتثاث الفتنة ورأسها بكل ما أوتوا من عزمٍ وقوة ،وقد خطب في الجيش يستحثه قائلاً " امضوا معي عباد الله الى قومٍ يطلبون - فيما يزعمون - بدمِ الظَّالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ،إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان . فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمتْ دنياهم ولو درَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا لإحداثه . فقالوا : إنه ما أحدث شيئاً . وذلك لأنه مكَّنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعَوْنها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال . والله ما أظنُّهم يطلبون دمه إنهم يعلمون أنَّه لظالم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبُّوها واستمرؤها ،وعلموا لو أن الحق لزِمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرْعَون فيه منها . ولم يكن للقوم سابقةٌ في الإسلام يستحقون بها

الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتِل إمامنا مظلوماً . ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً . وتلك مكيدةٌ قد بَلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان . اللهمَّ إن تنصرنا فطالما نَصَرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم . " (58)، وقد كان - رضوان الله عليه - واضحاً وصريحاً مع نفسه أولاً ومع الآخرين من الجيش الذي يقود جزءاً منه ثانياً ، ولم يكن متردداً في تبيان الأسباب التي يقاتل أهل الشام من أجلها، فقد كان رضوان الله تعالى عليه ثابت البصيرة في تشخيص بهتان ادعاءآت وتخرص معاوية ورهطه ، وأن همهم هو الدنيا فانكبوا عليها، يأكلون ما ليس لهم به حق ، فحق على كل من آمن بالإسلام قيماً وأخلاقاً أن يقف بكل ما أوتي من قوة وبأس بوجههم .

ثمَّ يندفع عمار يقود أصحابه نحو جيش معاوية ، ويقترب من عمرو بن العاص حليف معاوية ، الطامع بولاية مصر، فيناديه عمار " قال : ياعمرو : بعت دينك بمصر ! تبًّا لك ، وطالما بغيت الإسلام عوجاً ! ثمَّ حمل عمار وهو يقول :

صدق الله وهو للصـــدق أهلٌ وتعالـى ربِّي وكان جليلا
ربِّ عجِّل شهادةً لي بـقتلٍ في الذي قد أَحبَّ قتلاً جميلاً
مقبلاً غير مدبرٍ إن للقت لِ على كل مِيتَةٍ تفضيلا
إنهم عند ربّهم في جنانٍ يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شَراب الأبرار خالطه المِسْ كُ ، وكأساً مِزاجها زنجبيلا (59)

ويلتقي عمار بعبيد الله بن عمر ، قبل مقتله ، وهوأحد أنصار معاوية المتحمسين في حربه للخليفة الشرعي ، فيؤنبه ويهدده سوء العاقبة في الدنيا والآخرة ، وكان هذا دأب عمار في الحرب ، ينصح تارةً ويهدد تارةً أُخرى ، تبعاً للشخص الذي يلتقيه "ثمَّ نادى عمارٌ عبيد الله بن عمر ، وذلك قبل مقتله ، فقال يا بن عمر ، صرعك الله ! بعت دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام . قال : كلاَّ ، ولكن أطلبُ بدم عثمانَ الشهيد المظلوم . قال : ،وأشهد على علمي فيك أنَّك أصبحتَ لا تطلب بشيءٍ من فعلك وجهَ الله ،وإنك إن لم تُقْتَل اليوم فستموت غداً . فانظرْ إذا أعطى الله العباد على نيّاتهمْ ما نِيتُ" (60).

وقد قتل عبيد الله بن عمر في ذلك اليوم كما توقع له عمار بن ياسر " حدثنا عبد الله بن نافع عن أبيه قال (اختلف علينا في قتل عبيد الله بن عمر ، فقائل يقول قتلته ربيعة . قبيلة ربيعة . ، وقائل يقول قتله رجل من همدان ، وقائل يقول قتله عمار بن ياسر ، وقائل يقول قتله رجلٌ من بني حذيفة " (61).

ولكن هناك من يؤكد أن عبيد الله بن عمر قد قتله عمار بن ياسر في مواجهة جرت بينهما في المعركة " فأصبحوا يوم الجمعة فالتقوا وتقاتلوا أشدّ القتال ،والتقى عمار بن ياسر وعبيد الله بن عمر فقال عبيد الله : أنا الطيب بن الطيب ، فقال له عمار بن ياسر : أنت الخبيث بن الطيب ، فقتله عمار ، ويقال قتله رجلٌ من الحضارمة "(62).

ويرفع عمار يديه يدعو الله مبتهلاً اليه ، ناشداً طاعته ومرضاته ،معلناً أنه على أتم الإستعداد لفعل أي شيىء لمرضاته ، عاقداً العزم على مقاتلة القوم القاسطين ،متضرعاً خاشعاً ، وهو لا يزال ، في خضم تلك المعركة

الطاحنة ، يتذكر هدفه ، غير مرتاب ، متابعاً له ، " اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظُبَة سيفي في بطني ثمَّ أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت . اللهم وإني أعلم مما أعلمتني أني لا أعمل اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفعلته " (63) .

ويتقدم عمار للقتال وقد أخذ منه العزم مأخذه وهو ينادي جموع المقاتلين من جيش الإمام يبث فيهم الحماس والنخوة" أين من يبغي رضوان ربه ولا يؤُوبُ الى مالٍ ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال ((أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دمَ عثمان ويزعمون أنه قُتل مظلوماً ، والله إن كان الاَّ ظالماً لنفسه ، الحاكم بغير ما أنزل الله"(64).

ويلتقي عمار بن ياسر بقائد آخر من قادة الإمام علي (ع) لا يقل عنه شجاعة واقدام وبسالة هو صاحب راية الإمام علي ،هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ،المرقال ، كي يوقدا نار المعركة ،وكلهما أملٌ بأنها ستحرق العاصي معاوية بن أبي سفيان "لما كان قتال صفين والراية مع هاشم بن عتبة،جعل عمار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعور .

◆لا خير في أعور لا يأتي الفزع◆

فجعل يستحي (هاشم المرقال) من عمار ، وكان عالماً بالحرب ، فيتقدَّم فيركز الرايةَ ، فاذا تناهت اليه الصفوف قال عمار : أقدم يا أعور.

◆ لا خير في أعور لا يأتي الفزع ◆ " (65)

وأعتقد أن ذلك النوع من التعبية في ساحات المعارك قديماً ،على الرغم ما فيه من ابتكار في أساليب القتال والتعبئة ، كان يعتمد بالدرجة الأولى على شجاعة من نوع خاص وهو ما كان يتصف به كلٍ من المرقال وعمار ، وعلى ما أمكن فهمه يمكن تلخيصه بأنه : يحثُّ عمار هاشماً المرقال بأن يتقدم الى الأمام فيركز رايته في الأرض ، فيتقدم اليه الجيش ويشكل خطاً واحداً يقف خلف المرقال الذي يواصل تقدمه مرة أخرى ، فيركز الراية في مكان جديد ترافقه مجموعة من صفوة المقاتلين من جيش الإمام علي (ع) ، ويتقدم الجيش مرة أخرى منفذاً نفس الحركة السابقة ، يجري كل ذلك من خلال القتال الشديد الذي نشب بين المرقال والمجموعة المنتخبة من المقاتلين معه الذين يشقون طريقهم بالقوة القاهرة لتثبيت الراية، حيث يحرص جيش معاوية على وقف زحف جيش الإمام ، وكان تأثير ذلك النوع من القتال شديداً على جيش أهل الشام ، ولا أدل من ذلك تخوّف عمرو بن العاص من التقدم الذي بدأ المرقال يحرزه " فجعل عمرو بن العاص يقول : إني لأرى لصاحب الراية السوداء (يعني هاشماً المرقال) عملاً ، لئن دام على هذا لتفنينَّ العرب اليوم . فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل عمار يقول : صبراً عباد الله ، الجنة تحت ظلال البيض " (66)

واستمر عمار ينخس هاشماً ويحثه على التقدم ،وبدأ المرقال يزحف بالراية ، وهو يرقل بها ارقالاً ،أي يمشي بها بسرعة ،حتى أشتد القتال ، " ولم يزل عمار بهاشم ينخسه حتى اشتد القتال ، وزحف هاشمٌ بالراية يرقل بها إرقالاً ، وكان يسمَّى المرقال . قال : وزحفَ الناس بعضهم الى بعضٍ ، والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله ،

وكثرت القتلى في الفريقين كليهما " (67) ، وهنا تبدأ قصة الحديث المروي عن الرسول الكريم (ص) عن أن عمار تقتله الفئة الباغية ، وتأثير ذلك على جيش معاوية ، وسنتحدث عن ذلك الأمر بعد الإنتهاء من سرد بعض مجريات معركة صفين التي تتعلق بعمار الى حين استشهاده . في ذلك اليوم التاسع من شهر صفر عام 37 للهجرة .

يتقدَّم عمار من هاشم المرقال ، وعندما يقترب منه يناديه ، يستحثه على القتال من أجل الإنتهاء من أمر العاصي للخلافة الشرعية ، ومن ثمَّ الإلتفات الى بناء الدولة وتحصينها ، ويخاطب عمارٌ هاشماً " إحمل فداك أبي وأُمي " (68) ، وكان عمار قد لاحظ ميمنة جيش أهل العراق تعاني من الرقة ، أي ضعف في كتلة الجيش في ذلك الجانب فكان يحث المرقال من أجل أن يغطي ذلك الضعف بسرعة ، لكن هاشماً كان رجلاً مجرباً في الحرب ، يقاتل وفق خطة كان يسير في قتاله على ضوءها ، فقال لعمار والقتال على أشده ، " رحمك الله ياعمار ، إنك رجلٌ تأخذك خفةٌ في الحرب ، وإني إنما أزحف باللواء زحفاً ، وأرجو أن أنال حاجتي ، وإني إن خَفَتُ لم آمن التهلكة ." (69) وهو انما يدل على أن المرقال كان مجرباً في الحرب ، قد عركته التجارب فخلقت منه قائداً معروفاً منذ عهد الفتوحات الإسلامية الأولى.

وكان معاوية قد قال لعمرو بن العاص وهو يرى المرقال يفعل الأفاعيل ويفض جيشه ويوقع به الخسائر الشديدة "ويحك ، إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة ،وقد كان من قبل يُرقل به إرقالاً ، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً إنه اليوم الأطول لأهل الشام ، وإن زحف في عُنُقٍ من أصحابه إني لأطمع أن تقتطع . فلم يزل به عمار حتى حَمَل ، فبصر به معاوية فوجَّه

إليه حُماةَ أصحابه يُزَنَّ بالبأسِ والنجدة منهم في ناحيته ، وكان في ذلك الجمع عبدالله بن عمرو بن العاص ومعه يومئذٍ سيفان قد تقلَّد واحداً وهو يضرب بالآخر ، وأطافتْ به خيل عليّ ، ، فقال عمرو : يا الله، يا رحمن ، ابني ابني . قال : ويقول معاوية صبراً صبراً فانه لابأس عليه ، قال عمرو : ولو كان يزيدَ بن معاوية إذاً لصبرت ! ولم يزل حماةُ الشام يذبّون عنه حتى نجا هارباً على فرسه ومن معه"(70) ، وفي ذلك اليوم أصيب هاشم المرقال .

ويحمل عمار في ذلك اليوم من أيام صفين على جيش معاوية وهو ينشد :

كلا ورب البيت لا أبرح أجى ... حتى أموتَ أو أرى ما أشتهي
أنا مع الحق أُحامي عن علي ... صهر النبي ذي الأمانات الوفي
نقتل أعداهُ وينصرنا العلي ... ونقطعُ الهامَ بحدِّ المشرفي
والله ينصرنا على من يبتغي ... ظلماً علينا جاهداً ما يأتلي (71)

وكان القتال محتدماً واستطاع أهل العراق أن يجبروا أهل الشام على الفرار ، وفي هذا اليوم استشهد عمار بن ياسر - كما ذكرنا ذلك - ، وكان عمره ثلاثة وتسعون وقيل أربع وتسعون

هوامش الفصل الرابع

(1) المغازي ، الواقدي ،ج 1 ،ص 139

(2) المصدر نفسه ، ج1 ص334.

(3) المصدر نفسه ،ج 1 ،ص397.

(4) العقيق : مسيل ماء فيه نخلٌ وعيون بالقرب من المدينة المنورة ،معجم البلدان ،ياقوت الحموي ، ج 4 ص 138 .

(5) ابن سعد ، الطبقات ، ج3 ص 250.

(6)المُريسيعُ :وهو اسم ماء في ناحية قديد الى الساحل ، سار النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في سنة خمس ، وقال ابن اسحاق في سنة ست ،الى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم معجم البلدان ،ج5ص118

(7) المغازي ، الواقدي ، ج3 ص 880.

(8) نفس المصدر ج3 ص 882.

(9) الإستيعاب ج2 ص476.

(0 1) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، المجلد/ 3 ص253.

(11) الإصابة في تمييز الصحابة ، العسقلاني ج2 ص445.

(12) الأخبار الطوال ، الدينوري ، ص139.

(13) تاريخ اليعقوبي ، المجلد 2 ص47

(14) جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي ص 404

(15) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ،ج3 ص 117.

(16) وتستر هي مدينة شوشتر الحالية التي تقع في اقليم خوزستان في ايران

(17) جمهرة أنساب العرب، بن حزم ،ص228.

(18) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج2 ص 30.

(19) تاريخ الطبري ،ج4 ص90 .

(20) أعلام الورى ، الجزء 1 ص337 .

(21) الكامل في التاريخ ابن الأثير الجزء الثالث ص114.

(22) شرح النهج ج9 ص 312 .

(23) تاريخ الأمم والملوك ، الطبري المجلد الرابع حوادث سنة 36 ص467 .

(24) تاريخ الطبري ج4 ص469.

◆ تذكرني تلك الحادثة بأخرى مشابهة لها ،وهي حادثة محاولة اغتيال الطاغية صدام ، حيث أُعدم أكثر من مئة وستون انسان ، وأبعدت العديد من عوائل مدينة الدجيل الذي قاسوا ظروفاً صعبة في صحراء السماوة ، كما جرفت العديد من بساتين المدينة ،فهل يعقل أن هذا العدد من الذين أُعدموا قد اشتركوا في تلك المحاولة التي لم يصب فيها الطاغية حتى بجرح بسيط.

(25) نفس المصدر ، ص468 .

(26) نفس المصدر ، ص 470.

(27) الأخبار الطوال ، الدينوري ،ص147.

(28) شرح النهج ابن أبي الحديد ج 2 ص 162 .

(29) شرح النهج ج11 ص10.

(30) شرح النهج ج2 ص 167

(31) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ج 1 ـ 2 ص162

(32) شرح النهج ج1ـ 2 ص169

(33) الطبري ، المجلد 4 ص509.

(34) الأخبار الطوال ، الدينوري ،ص149.

(35) تارخ الطبري ج5 ص200

(36) الأخبار الطوال ، الدينوري ، ص147

(37) الطبري م 4 ص 517

(38) شرح النهج ج 1 ص 275 .

(39) الكامل في التاريخ ،ابن الأثير ،ج3 ص 128

(40) شرح النهج لإبن أبي الحديد مجلد 5 ـ 6 ص228

(41) الطبري م4 ص533

(42) سورة طه آية 97 . شرح النهج ابن أبي الحديد ج 1 ص 266

(43) وقعة صفين نصر بن مزاحم ، ص205.

(44) نفس المصدر ص 214 .

(45)نفس المصدر ، ص 208 .

(46)نفس المصدر ،ص 454.

(47)نفس المصدر ، 198.

(48)نفس المصدر، ص 92 .

(49)نفس المصدر ،ص92

(50) نفس المصدر ، ص97 .

(51) نفس المصدر ،ص226.

(52) نفس المصدر ،ص214.

(53)نفس المصدر .

(54)نفس المصدر ،ص 215.

(55) نفس المصدر، ص 224 .

(56) نفس المصدر .

(57) وقعة صفين ص232

(58)نفس المصدر ،ص 215.

(59) نفس المصدر، ص 224 .

(60) نفس المصدر .

(61) نفس المصدر ،ص232.

(62)نفس المصدر ، ص239.

(63) نفس المصدر ، ص319.

(64)وقعة صفين ،نصر بن مزاحم ،ص 319 ـ 320 .

(65) نفس المصدر ، ص320.

(66) ج5 ص 19 .

(67) ج5 ص20.

(68) وقعة صفين ، نصر ، ص320.

(69) وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ، ص328.

(70) نفس المصدر ، ص 328.

(71) نفس المصدر ، ص 328 .

(72)نفس المصدر ،ص328 .

(73) نفس المصدر ، ص 340 .

(74) نفس المصدر ،ص 340

الفصل الخامس

1 . شهادة عمار بن ياسر
2 . حديث الفئة الباغية

شهادة عمار بن ياسر

ذكرنا أن عمار بن ياسر كان قد استشهد في يوم التاسع من صفر من عام 37 للهجرة النبوية وعمره يومئذ ثلاثٌ وتسعون عاماً " أو أربع وتسعون، وفي هذا اليوم قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه أُصيب في المعركة ، وقد كان قال عمار حين نظر الى راية عمرو بن العاص : والله إن هذه الراية قاتلتها ثلاثَ عركات وما هذه بأرشدهن ! ثم قال عمار :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويلهْ

ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِه ويذهل الخليل عن خليـلهْ

أو يرجع الحق الى سبيله

ثمَّ استسقى وقد اشتد ظمؤه ، فأتته امرأة طويلة اليدين والله ما أدري أعسٌّ معها أم إداوةٌ فيها ضَياحٌ من لبن ، ـ وضياح من لبن : هو اللبن الخفيف الممزوج بالماء ، فقال حين شرب : ((الجنة تحت الأسنة السيوف

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحِزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهُم على الباطل)) ثم حمل وحمل عليه ابن جَون السكوني ـ أو ابن حوى السكوني أو ابن حواء السكوني ـ ، وأبو العادية الفزاري ، فأما أبو العادية فطعنه ، وأما ابن جون فانه احتز رأسَه " (1) ،وفي جمهرة أنساب العرب ص228 جاء : السكاسك ، منهم حوى بن ماتع بن زرعة بن ينحض بن حبيب بن ثور بن خِداش ، من بني عامر بن السكاسك ، وهو قاتل عمار بن ياسر .

لقد أثر استشهاد عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه في جيش الإمام علي ، فعمار كان من صفوة صحابة الرسول (ص) ، وكان النبي الكريم قد أكرمه في القول ومدحه أمام المسلمين وقد أوردت كتب التاريخ كثير من الأحاديث الشريفة تشيد بعمار ، وترفعه الى مصاف الرتب العالية بين المسلمين ، كما أن ما يربطه بأمير المؤمنين (ع) ما لم يكن يتحقق مع الآخرين من قادته ، باستثناء قلة قليلة منهم ، كمالك الأشتر وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وآخرين ، كما كان فقدانه في ذلك الموقف المهيب بمثابة تعويض لما أصاب جيش أهل الشام من خسائر فادحة ، ويبدو ذلك جلياً في قصيدة قالها مالكٌ الأشتر يخبر فيها جيش اهل الشام أن لا يفرحوا بمقتل عمار لأن ما أصابهم من خسائر كان فادحاً أيضاً :

نحن قتلنا حوشباً لما غدا أعْلما
وذا الكلاع قبله ومعبداً إذْ أقدما
إن تقتلوا منا أبا ال يقظانِ شيخاً مسلماً
فقد قتلنا منكمُ سبعين رأساً مجرماً
أضحوا بصِفّينَ وقد لاقوا نكالاً مؤثِما (2)

وكان عدي بن حاتم الطائي يتقدم خلف الإمام علي الذي كان قد انتدب له عشرة آلاف مقاتل يتقدمهم الى ساحة الوغى، وهو يحمل لواء أبيه ويرتجز من الشعر ما كان يشير الى عمق الخسارة التي أصابت جيش

الإمام علي بفقدان صفوة من القادة من بينهم عمار بن ياسر ، حتى أنهم كانوا يعتبرون الحياة قد أصبحت لا معنى لها بعد فقدانهم :

أبعد عمارٍ وبعد هاشـــم وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حُلم الحالمِ وقد عَضَضْنا أمسِ بالأباهم
فاليوم لا نقرع سنَّ نادمِ ليس امرؤٌ من يومه سالـــم (3)

وهذا شاعرٌ من أهل العراق يذكر أهل الشام بأن لا يفرحوا ويشمتوا لموت عمار والرهط المجاهد من القادة الآخرين في جيش الإمام علي ، لأن خسارة أهل الشام كانت هي فادحة أيضاً ، وفي الحق فان احساس أهل العراق بخسارة عمار ورفاقه كانت أفدح :

فإن يكُ أهل الشام أودوا بهاشمٍ وأودوا بعمارٍ وأبقوا لنا ثكُلا
وبابني بُديل فارسي كلٌ بهمة وغيثٍ خزاعيٍ به ندفع المحلا
فهذا عبيدُ الله والمرء حوشبٌ وذو كَلَعٍ أمكسوا بساحتهم قتلى(4)

وربما كان سقوط عبيد الله بن عمر وحوشب وذو الكلاع الحميري قتلى في ساحة المعركة قد عادل استشهاد عمار ورفاقه من قادة أهل العراق ، ولكن هيهات.

وقتله أحدٌ من السكاسك " ولد السكاسك . بن أشرس بن كندة ثمانية عشر ذكراً . ولهم ثروة في الشام . منهم حوى بن مانع بن زرعة بن يتحض بن حبيب بن ثور بن خداش ، من بني عامر بن السكاسك ، وهو قاتل عمار بن ياسر .

وفي تفصيل أكثر عن استشهاد عمار ، رضوان الله عليه ، جاء في الطبقات الكبرى " وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو الغادية المزني ، طعنه برمحٍ فسقط ، فلما وقع أكب عليه رجلٌ آخر فاحتز رأسه ، فأقبلا يختصمان فيه ، كلاهما يقول أنا قتلته ، فقال عمرو بن العاص : والله إن يختصمان إلاّ في النار . فسمعها منه معاوية ، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص : ما رأيت مثل ما صنعت أقومٌ بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما انكما تختصمان في النار ، فقال عمرو : هو والله ذاك ، والله انك لتعلمُه ولوددتُ أني مت قبل هذا بعشرين سنة " (5)

وقيل أن الذي قتل عمار ثلاثة نفر : عقبة بن عامر الجهني وعمر بن بن الحرث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي.

وأن عقبة بن عامر هو الذي قتل عماراً ، وأن له سابقة مع عمار قديمة على عهد عثمان ، وكان عقبة في مجلس عثمان عندما دخل عمار عليه يحمل كتاباً يحمل رأي عدد من الصحابة في تجاوزات عثمان ، فأمر عثمان عقبة أن يضرب عمار ، ويقال أن الذي قتل عمار عمر بن الحارث الخولاني ، وعند مراجعتنا بعض المراجع وجدنا هذا الإختلاف في أسماء من ذُكِرَ أنهم كانوا قد قتلوا عمار، وفضلنا تدوينه .

ويروي قاتل عمار بن ياسر قصة مقتله بنفسه " لما استلحم القتال بصفين وكادوا يتفانَوْن قال معاوية : هذا يومٌ تفانت فيه العرب إلاّ أن ندركهم فيه خفة العبد ، يعني عمار بن ياسر ، قال وكان القتال الشديد ثلاثة أيام ولياليهن ، آخرهن ليلة الهرير ، فلما كان اليوم الثالث قال عمار لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ومعه اللواء يومئذ : احمل فداك أبي وأُمي ! فقال هاشم : يا عمار رحمك الله انك رجلٌ تستخفُّك الحرب واني انما

أزحف باللواء زحفاً رجاء أن أبلغ بذلك ما أُريد . واني إن خففْتُ لم آمن التهلكة ، فلم يزل به حتى حمل ، فنهض عمار في كتيبة فنهض اليه ذو الكلاع. قتل في نفس اليوم الذي قتل فيه عمار . في كتيبة فاقتتلوا فقتلا جميعاً واستؤصلت الكتيبتان ، وحمل على عمار حُوَي السكسكي وأبو الغادية المزني وقتلاه . فقيل لأبي الغادية : كيف قتلته ؟ قال : لمّا دلف الينا في كتيبة ودلفنا اليه ، نادى هل من مبارز ، فبرز اليه رجلٌ من السكاسك فاضطربا بسيفيهما فقتل عمار السكسكي ، ثم نادى من يبارز ، فبرز اليه ، رجلٌ من حمير فاضطربا بسيفيهما فقتل عمار الحميري وأثخنه الحميري ، ونادى من يبارز ، فبرزت اليه فاختلفنا ضربتين ، وقد كانت يده قد ضعفت فانتحي عليه بضربة أُخرى فسقط فضربته بسيفي حتى بَرَدَ " (6).

وقد صلى الإمام علي عليه وعلى هاشم المرقال رحمهما الله برحمته الواسعة وأسكنهما فسيح جناته الذان استشهدا في يوم واحد " ان علياً صلى على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة ، رضى الله عنهما ، فجعل عماراً مما يليه وهاشماً أمام ذلك ، وكبَّر عليهما تكبيراً واحداً خمساً أو ستاً أو سبعاً " (7)، وقبر عماربن ياسر في أرض قريبة من الرقة وهي مدينة في سوريا ،وقد علمنا أن ارهبيو النصرة قد قاموا بهدم مقامه الذي بني حديثاً ،وها هم بني أمية يعودون الى الثأر والإنتقام من عمار لوفاءه للإمام علي وإيثاره له على نفسه ،رحم الله عمار بن ياسر والعظام لا تؤثر فيهم مثل تلك الأعمال ولن تمحي ذكراهم ولو كان ذلك صحيحاً لأستطاع بنو أمية وبنو العباس من محو ذكر الإمام الحسين الذين عملوا من أجل محو ذكره كل ما أمكنهم لو كان ما جرى مع الإمام قد

جرى لأحد غيره لما عاد يذكر الى اليوم وقد ذهب أعدائه الى مزابل التاريخ ويقي هو شامخاً الى أبد الآبدين.

حديث الفئة الباغية

كان للحديث النبوي الذي كان يُتَناقل بين أهل الشام والعراق عن عمار بن ياسر ,,ياعمار تقتلك الفئة الباغية ,, أهمية كبيرة وتأثير شديد على المقاتلين ، وكان يضع معاوية ورهطه موضع اتهام وعلى لسان الرسول الكريم بأنهم بغاة ، وكما ذكرنا أن ذلك الحديث كان شائعاً بين أوساط الجيشين ، وقد تفجر تأثير ذلك شديداً عندما تفجر القتال بين الطرفين ، وبات واضحاً بأن الموت يحوم على ساحة المعركة ، وأن عمار بن ياسر الذي يدور حوله الحديث الشريف موشكٌ على الشهادة ، أو أن احتمال تعرضه للموت وارد في حمأة القتال الذي بات يحصد أرواح الآلاف من الجيشين المتقابلين،ولقد أحس بعضهم أن لو قتل عمار فإن غضب الله ورسوله سوف يحل به فبحث عن حل، وكان تأثيره على أهل الشام كبيراً لأن ذلك الحديث يقصدهم بصورة لا لبس فيها ، لذا فان عدد من وجوه أهل الشام كانوا يسعون للتحقق منه كي ينأوا عن الإتهام الصريح بالبغي الذي يرد بين ثناياه ، وقد اتصل قسمٌ منهم بأقارب لهم في جيش العراق للوقوف على الحقيقة .

ونحن نسرد أحداث قصة اجتماع عمرو بن العاص مع عمار بن ياسر التي رتبها ذو الكلاع الحميري ، وهو من قادة جيش معاوية المعروفين بشجاعتهم وشدتهم،وردت قصة ذلك اللقاء على الصفحة 333 ـ 339 من وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري : ففي أحد أيام حرب صفين خرج ذو الكلاع من صفوف جيش معاوية قاصداً قريباً له في جيش أهل العراق

كي يسأله عن أمر كان قد وقع في نفسه وأقلقه ، أبو نوح الحميري ، فسار حتى وصل الى مقربة من أبي نوح فقال للقوم " من دلّ على الحميري أبي نوح ؟ فقلنا :هذا الحميري فأيهم تريد ؟ قال : أُريد الكلاعي أبا نوح . قال :قلتُ وجدته فمن أنت ؟ قال أنا ذو الكلاع ، سِر إليَّ . فقلت له : معاذ الله أن أسير اليك إلاّ في كتيبة . قال ذو الكلاع :بلى فسر ، فلك ذمةُ الله وذمة رسوله وذمة ذو الكلاع حتى ترجع الى خيلك ،فانما أريد أن أسألك عن أمرٍ فيكم تمارينا فيه " ، وكان ذو الكلاع يريد أن يتأكد من حديث رواه عمرو بن العاص عن رسول الله ، في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، "يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي احدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمّار بن ياسر " ،ويسأل ذو الكلاع أبا نوح عن عمار ،هل هو جادٌ في قتال أهل الشام بعد أن تأكد أن عمار يحارب في صفٍّ أهل العراق ، وبعد أن تأكد ذو الكلاع أن عمار كان جاداً في قتالهم ، أراد أن يحسم الأمر بأن يدعو عمار الى ساحة جيش أهل الشام ليلتقي عمرو بن العاص وجهاً لوجه ليضع حداً لشكوكه ، واقترح على ابن عشيرته أبا نوح الحميري أن يأتي معه الى صف أهل الشام وهو يستأمنه فلا يغدر به أو أحد من أصحابه ، وبعد أن اطمأن أبو نوح الى ابن عمه ذو الكلاع ، سار معه قاصدين عمر بن العاص فأتوه فوجدوه عند معاوية وقد اجتمع حوله بعض أهل الشام ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عمرو بن العاص يحرض على الحرب ويتحمس لها ، فلما وصل الحميريان الى حيث يجتمع القوم قال ذو الكلاع الحميري لعمرو بن العاص يستعلم منه خبر الحديث : هل لك في رجلٍ ناصح لبيبٍ شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبُك ؟ قال عمرو :ومن هو ؟ قال : ابن

عمِّي هذا ، وهو من أهل الكوفة . فقال عمرو : إني لأرى عليك شيما أبي تراب . قال أبو نوح :عليٌّ سيما محمد صلى الله عليه وأصحابه ، وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون . فقام أبو الأعور [السلمي] فسلَّ سيفه ثمَّ قال : لا أرى هذا الكذاب اللئيم يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيما أبي تراب . فقال ذو الكلاع : أقسم بالله لئن بسطت يدك اليه لأخطمنَّ أنفك بالسيف. ابن عمي وجاري عقدت له بذمتي ، وجئت به اليكما ليخبركما عمّا تماريتُم فيه . قال له عمرو بن العاص : اذكرك الله يا ابن نوح إلاَّ صدقتنا ، ولم تَكذِبنا ،أفيكم عمار بن ياسر ؟ فقال له أبو نوح : ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لِمَ تسألني عنه؛ فانا معنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه عِدّةٌ غيره ، وكلُّهم جادٌّ على قتالكم . قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : ((ان عمار تقتله الفئة الباغية ، وانه ليس ينبغي لعمار أن يفارق الحق وأن تأكل النار منه شيئاً)) " وهنا تتفجر القنبلة التي طالما ظلت تنتظر لحظة انفجارها المناسبة ، وكان لهذه القنبلة أثرها على سامعيها ، فهزَّت قناعاتهم وقناعات الكثيرين غيرهم، فسعى عمرو بن العاص الى التخفيف من وطأتها فطلب من أبا نوح أن يجمعه مع عمار ، ويصطحب أبو نوح الحميري شرحبيل ابن ذى الكلاع ليقابلا عمار ويخبرانه الخبر ورغبة عمرو بن العاص في لقائه ، ويصل الحميران الى حيث عمار بن ياسر " فوجده مع أصحابٍ له ، منهم ابنا بديل وهاشم ، والأشتر وجارية بن المثني ، وخالد بن المعمر ،وعبد الله بن حَجَل، وعبد الله بن عباس ، وقال أبو نوح : إنه دعاني ذو الكلاع وهو ذو رحم فقال : أخبرني عن عمار بن ياسر ، أفيكم هو ؟ قلت : لِمَ تسأل ؟ " ثم ذكر له عمر بن العاص أن النبي (ص) كان قد تحدث عن عمار وأنه

تقتله الفئة الباغية ، أن عمرو بن العاص يريد أن يلقى عمار ، فركب عمار مع عدد من الفرسان وسار حتى أتى ابن العاص ودارت بينهما محاورة كانت تتمحور على صلابة عمار في موقفه ، وكان ابن العاص قد حاول أن يطمس معنى حديث الرسول الكريم ويركز في تحاوره مع عمار على قضية اغتيال الخليفة عثمان بن عفان دون القضية التي تم اللقاء من أجلها، وعندما سأل عمرو بن العاص عمار بن ياسر عن اشتراكه في اغتيال عثمان " أكنت فيمن قتله ؟ قال كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم . قال عمرو : فلم قتلتموه ؟ قال عمار : أراد أن يغير ديننا فقتلناه . فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان . " وأرادها أهل الشام حجة فنهضوا تاركين عمار الذي انصرف الى صف جيش أهل العراق ، وعلم معاوية ما جرى من حديث مع الفرقاء فقال " هلكت العرب أن أخذتهم خفة العبد الأسود " وكان عمار في نظر الطلقاء عبداً أسود سالكين نهج الجاهلية وليس مجاهداً من الطراز الأول وأفنى عمره في سبيل الإسلام ورسالته والذود عنه .

كل ذلك الجهاد والتفاني لم يشفع لعمار ، فقد كان النواصب الكارهون للإمام علي بن أبي طالب يعتبرونه رأس الفتنة ، وأن قاتله يدخل الجنة بدون حساب ، ودون أن يعيروا لأحاديث النبي عن قاتله الذي سيدخل النار " قال رأيت أبا بردة بن أبي موسى يقول لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر : أنت قتلت عماراً ؟ قال نعم ، قال ابسط يدك أُقبلها فقبلها ثمَّ قال : لا تمسك النار أبداً" (8)

لقد كان لإبن أبي حديد في شرح نهج البلاغة رأي أكثر وضوحاً في ذلك التحاور الذي تجاهل العنصر الأكثر أهمية ، يقول ابن أبي الحديد :

" واعجباه من قومٍ يمتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار ولا يمتريهم الشك لمكان علي عليه السلام ، ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق يكون عمار بين أظهرهم ولا يعبئون بمكان علي عليه السلام ، ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله : تقتلك الفئة الباغية ؛ ويرتاعون لذلك ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه ولآله في علي عليه السلام : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ولا لقوله لا يحبك إلاَّ مؤمن ولا يبغضك إلاَّ منافق . وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في اخماد ذكره وستر فضائله " (9) ،أليست هي مفارقة ما بعدها مفارقة أن يترك الأصل .. أحقية الإمام علي بالخلافة ، ووجوب الوقوف معه نصرة للحق والواجب ولسابقته في الإسلام وجهاده الذي لم يتوقف في سبيله ، وأحاديث النبي التي لا تعد والتي تمدحه وتضع الحق الى جانبه أينما دار.. والتمسك بالفرع ، بحث مسألة دم عثمان الذي اتهم به الإمام زوراً وبهتاناً .

وفي الطبقات الكبرى لإبن سعد المجلد/ 3 ص252 جاء عن حديث الفئة الباغية : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعمار وهو يمسح التراب عن رأسه . بؤساً لك ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية .

وفي ص 252 من الطبقات جاء عن عمار : سمعت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية ، قال عوف ولا أحسبه إلاّ قال : وقاتله في النار .

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص يروي عن النبي (ص) مخاطباً أبيه" يا أبتِ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لعمار ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية . قال : فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول

هذا ؟ قال فقال معاوية : ما تزال تأتينا بهنَّة تدحض بها بولك ، أنحن قتلناه ؟ انما قتله الذي جاؤوا به .

وعلى نفس الصفحة من المصدر نفسه جاء عن حديث النبي (ص) حول مقتل عمار، ومن سيقتله ، "بينا نحن عند معاوية اذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار ، يقول كل واحد منهم أنا قتلته ،فقال عبد الله بن عمرو : ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ،فاني سمعت رسول الله، صلى الله عله وسلم ، يقول : تقتله الفئة الباغية . قال : فقال معاوية : ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو فما بالك معنا ؟ قال ان أبي شكاني الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال أطع أباك حياً ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أُقاتل ".

وعندما كان عمار يشارك في بناء أول مسجد بني في الإسلام ،في المدينة المنورة ، وأخذ منه التعب مأخذه لأنه كان يحمل لبنتين على ظهره فأحس بالتعب "وقد كان عمار اشتكى قبل ذلك ، فقال بعض القوم : ليموتن عمارٌ اليوم ، فسمعهم رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، فنفض لبنته وقال : ويحك ، ولم يقل ويلك ، يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية"(10) ، ويمكن ايراد هذا الحديث الشريف في عدد لا يحصى من مصادر الحديث والتاريخ ، وبامكان القارئ الكريم أن يقف على ذلك بنفسه عند تصفحه تلك المصادر بنفسه ، ونحن آثرنا الإكتفاء بما أوردناه منها لأنها تكفي تأكيده وثبوته .

ولكن ما الذي كان يقف وراء ذلك الحديث الشريف من حقائق الهية وموضعية دفعت النبي الكريم (ص) ليتحدث بذلك الحديث ، والذي يبدو من خلال وروده في أكثر من مصدر وأكثر من موقف ، ويمكن لنا

أن نضع في هذا المجال جانبين من الحقائق التي جعلت النبي يكرر حديثه ذلك ، أولهما التسديد الهي الذي يحظى به ،وهو كان قد تحدث عن حوادث توقع حدوثها ، وحدث أغلبها أو كلها بعد رحيله الى الرفيق الأعلى ونذكر عدداً منها ، توقع النبي أن يحقق المسلمون النصر على أمبرأطوريتي الفرس والروم وبشرهم بها ، وقد حدث ذلك بعد وفاته بما لا يزيد عن عشرين عاماً ، استشهاد الإمام الحسين (ع) ، نباح كلاب الحوأب على عائشة وهي في طريقها لمقاتلة أمير المؤمنين ، فنبحتها الكلاب في ذات الموقع ، لكنَّ عبد الله بن الزبير رتَّب لعائشة شهوداً أقسموا أن ذلك الموقع الذي نبحتها فيه الكلاب لم يكن هو الحوأب ، فكانت تلك أول شهادة زور في الإسلام ، وقد توقع النبي (ص) أن تقاتل عائشة الإمام علي عندما أشار الى بيتها معلناً ذلك أمام الحاضرين معه ، كما تحدث النبي ، سلام الله عليه ، مع الزبير انه سيقاتل الإمام وهو له ظالم ، وقد خرج الزبير على الإمام ليقاتله في معركة الجمل التي كلفت خمسة عشرألفاً من المسلمين ، ذهبوا ضحية الأطماع والحسد ، وتوقع النبي الكريم (ص) أن يمحى اسم .. أمير المؤمنين .. من الوثيقة التي كتبت في صلح صفين ، كما مسح اسم النبي (ص) من وثيقة صلح الحديبية ، وكان النبي (ص) قد أخبرالإمام علي بأنه سيأتي اليوم الذي سيمحى أسمه من وثيقة كما يمحى اسمه من وثيقة صلح الحديبية ، حيث اعترض الإمام عندما اصر المشركون على مسح عبارة ((من محمد رسول الله)) ، فقال له النبي امسحها يا علي فلم يمسحها فقام النبي الكريم بمسحها بنفسه، ثمَّ حديث النبي الكريم عن عمار موضوع البحث (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) ، لقد أعطى الله نبيه ما لا أعطى

لغيره من الكرامات ، فكان حديثه عن أحداث بعينها جرت فيما بعد هو تعبير عن صدق الكرامات التي وهبها الله له ، صلى الله عليه وسلم ، أما الجانب الآخر فهو الحقائق التي كانت تعزز توقع حدوث القتل لعمار من قبل الفئة الباغية ،فان النبي كان ينظر بعين ثاقبة لما سيجري من أحداث في المسقبل الآتي ، وعندما سينتقل الى الرفيق الأعلى ، وقد نظر الى عمار فوجده دون عشيرة في المدينة تحميه من قريش التي قاتلها وناكدها في الإسلام ، وعمار لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو ممن لايحتمل أن يرى الظلم أمامه ويكتم ، مما سيخلق له الكثير من الأعداء الذين سيستحوذون على مقاليد الأمور بعد رحيل الرسول (ص) ، وعمار شجاع وكريم ، ومجاهد لا يستطيع أن ينكره أحد ، ومن السابقين في الإسلام ، وثابتٌ في الحق ، وهذه الصفات النادرة التي اجتمعت كلها فيه، ستدفع غيره من الدخلاء على الإسلام والطلقاء الى توجيه سهام الحقد والضغينة عليه ، وكان النبي الكريم يتوقع أن يتكتل هولاء ويصطفوا ليسيطروا على مقاليد الدولة الإسلامية الفتية ، دون وجه حق ، وهم سيسدرون في غيهم وعصيانهم وسيطرتهم ، لذلك قال عن قتلة عمار انهم الفئة الباغية .

والباغي هو الذي لا يرجع عن موقف البغي الذي وقف فيه ، ولا ينفع النصح فيه ، والآية الكريمة التي تتحدث عن فئتين من المسلمين اقتتلا واضعة في تحديد طرف *البغي* والعدوان و الموقف الذي يجب على المسلمين أن يقفوه منها((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما ،فان بغت احداهما على الأُخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ان الله يحب المقسطين))

(11) ، وقد جاهد الإمام علي (ع) في اعادة معاوية الى جادة الحق قبل نشوب معركة صفين ، وانتظر وقتاً كبيراً قبل أن يبدأ القتال ، وأرسل الرسل الى معاوية لتجنيب المسلمين مهالك الحرب وآثارها التدميرية والدماء البريئة التي ستسفك من أجل تحقيق المصالح الذاتية.

نصح بعض جماعة الإمام علي له أن يكتب الإمام كتاباً الى معاوية ومن معه يدعوهم فيه الى ترك الخطأ الذي اقترفوه ونبذ العصيان والعودة الى رأي الجماعة، فكتب الهم " بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين الى معاوية ومن قبله من قريش. سلام عليكم، فاني أحمد الله اليكم الله الذي لا اله إلاّ هو . أما بعدُ فان لله عباداً آمنوا بالتنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفقهوا في الدين ، وبيَّنَ الله فضلهم في القرآن الحكيم ، وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله صلى الله عليه ، تكذّبون بالكتاب ، مُجمعون على حرب المسلمين ، من ثقِفتم منهم *حبستموه أو عذّبتموه أو قتلتموه*، و فيها اشارة الى الصحابة الذين عذبوا في الجاهلية على أيدي قريش ومنهم عمار وأمه وأبيه ، حتى أراد الله إعزاز دينه واظهار رسوله، ودخلت العرب في دينه أفواجاً ، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكَرهاً ، *وكنتم ممن دخل هذا الدين إما رغبةً وإما رهبةً* ، على حين فاز أهل السّبْق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم . فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام ، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهلُه وأولى به ، فيحوب بظلم . [الحوب : الظلم] ولا ينبغي لمن كان له عقلٌ أن يجهل قدرَه ، ولا أن يعدو طَوْرَه ، ولا أن يُشقِيَ نفسه بالتماس ما ليس له . ثمَّ إن أولى الناس بأمر هذه الأُمة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله صلى الله عليه ، وأعلمها

بالكتاب وأفقها بالدين ، وأولُها اسلاماً وأفضلُها جهاداً وأشدُّها بما تحمّله الرعية من أمورها اضطلاعاً. فاتقوا الله الذي اليه ترجعون " (12) ثم يستمر الإمام (ع) في نصح القوم والعودة الى جادة الحق والصواب *ملقياً الحجة عليهم* فيقول " واني أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، وحقن دماء هذه الأمة . فان قبلتم أصبتم رشدكم ، وأهتديتم لحظكم . وإن أبيتم إلاّ الفرقة وشقَّ عصا هذه الأمة فلن تزدادوا من الله إلا بعداً ، ولن يزداد الرب عليكم إلاّ سخطاً " (13)

وكتب معاوية جواباً للإمام (ع) رداً على رسالته له ليس فيها غير التهديد بالحرب والإصرار على سفك دماء المسلمين وازهاق الأرواح البريئة"

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ غير طعنِ الكلى وضرب الرقاب

فقال علي : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) " (14) .

وعندما غلب أهل الشام على ماء الفرات ومنعوا جيش الإمام من الورود والإكتيال ، أرسل صعصعة بن صوحان أحد قادته المخلصين الى معاوية يحمل معه رسالة شفوية ينصحه فيها الكف عن بغيه وينهاه عن الإيغال في الفتنة " ائت معاوية فقل : إنا سِرنا مسيرنا هذا ، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار اليكم ، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك . وهذه أخرى قد فعلتموها ، حتى حُلتم بين الناس وبين الماء ، فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم " (15) ، لكن معاوية بعد أن استشار بطانة السوء المحيطة به ، سدر في غيّه ومنع جيش الإمام من الماء ، فما

كان من الإمام (ع) إلاّ أن أصدر أمراً لقواته أن تستعيد موقع الماء من أهل الشام ، وشن جيشه هجوماً كاسحاً على جيش الشام وأبعدهم عن الماء ، لكن الإمام لم يمنع الماء عن العصاة وأصدر أمره الى قواته بالسماح لأهل الشام بالإكتيال جنباً الى جنب جيشه ، فأين تلك الأخلاق النبيلة من تلك الأخلاق الحاقدة والنفس اللئيمة .

لم يتوقف الإمام علي (ع) عن مراسلة معاوية ومكاتبته وارسال الوفود تلو الوفود لإقناعه بالعدول عن عصيانه ، وظل على هذا المنوال لمدة ثلاثة أشهر " فتراسلوا ثلاثة أشهر ، ربيعاً الآخر وجُمادَيَين " (16) ، وكان يجيب على محاولات الإمام لثنيه عن ايغاله في الفتنة ، وقد أرسل له ، في إحدى المرات ، وفداً من أعلام جيشه وقادته وطلب منهم دعوته الى الطاعة والجماعة ، كلٌ من بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي ، فكان ردَّه لهم قاسياً ، ولم يحصلوا منه على ما يهدئ الفتنة التي كان يجهد لإشعالها ،

عندما حلَّ شهر محرم توقف القتال الى أن ينقضي الشهر ، على أمل أن تسفر الوساطات الى عقد صلح تحقن فيه دماء المسلمين ، " لما توادع علي عليه السلام ومعاوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح ، فأرسل علي بن أبي طالب الى معاوية عديَّ بن حاتم ، وشبث بن ربعي ، ويزيد بن قيس ، وزياد بن خصفة ، فدخل عدي على معاوية وقال له " أما بعد فإنا أتيناك لندعوك الى أمرٍ يجمع كلمتنا وأمّتنا ،ويحقن الله دماء المسلمين ويأمن به السبل ويصلح به البين ، وندعوك الى أفضلها سابقةً وأحسنها في الإسلام آثاراً ، وقد أرشدهم الله بالذي رأى فأتَوْا ، فلم يبقَ

أحدٌ غيرك وغير من معك ، فانتهِ يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثلِ يوم الجمل .

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأتِ مصلحاً . هيهات يا عديُّ . كلا والله اني لأَبن حرب ، ما يقعقع لي بالشنان [الشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق ، وهم يحركون القربة البالية اذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع] . أما والله انك لمن المُجلبين على ابن عفان، وأنت لمن قَتَلَتِه ، واني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله . هيهات يا عديُّ ، قد حلبتُ بالساعد الأشدّ " (17) . وفشل الوفد في اقناعه .

مما لاشك فيه أن الإمام علي (ع) قد استنفذ كل الوسائل ، قبل قدومه الى صفين ،بل انه كان يرسل الوفود الى عثمان حتى خلال المعارك عند توقف القتال ، وفشل في اقناع معاوية في العدول عن ما هو فيه من الإصرار على بث الفرقة بين المسلمين وسفك دمائهم ، وبذا يكون معاوية ومن معه هم الفئة الباغية التي قصدها الرسول الكريم (ص) من حديثه الشريف " يا عمار تقتلك الفئة الباغية " مما يوجب على المسلمين أن يقاتلوا تلك الفئة حتى يعيدوها الى جادة الصواب ، ثمّ يحكم بالعدل ،فهل من العدل أن يقتل ما يزيد عن مئة وخمسون انساناً للأخذ بثار شخصٌ واحد ، لم يشترك كثيرٌ ممن أُزهقت ارواحهم أي علاقة بحادثة موته ؟ .

هوامش الفصل الخامس

(1)وقعة صفين ، نصر بن مزاحم ،ص 405 . ويقال فارس بهمة ،كما يقال ليث غابة؛ والبهمة ، بالضم : الجيش

(2) الطبقات الكبرى ، ابن سعدمجلد /3 ص259.

(3) الطبقات الكبرى ابن سعدج3 ص261

(4) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، المجلد / 3 ص262.

(5). الغارات ،ابن هلال ص389 . وأبا بردة هذا مصنف في كتب الرجال بأنه من أكثر الكارهين للإمام علي (ع) .

(6)وقعة صفين ، نصر بن مزاحم ، ص334 .

(7) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، مجلد /3 ص251 .

(8) سورة الحجرات ، آية رقم 9 .

(9) وقعة صفين ، نصر بن زاحم ، ص 150 .

(10) نفس المصدر ، ص 151 .

(11) نفس المصدر ، ص 151 .

(12) نفس المصدر ، ص 161 .

(13) نفس المصدر ،ص 190 .

(14)وقعة صفين ، نصر بن مزاحم ،ص 340 .

(15) نفس المصدر ،ص364 .

(16) نفس المصدر ، ص 403.

(17)وقعة صفين ، نصر ، ص 403.

الخاتمة

القائد الذي نكتب عنه كتابنا الثالث ضمن سلسلة ((قادة حول الإمام علي (ع))) بعد كتابنا الأول عن مالك الأشتر ، والثاني عن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص .. المرقال .. هو: عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن المعيق بن الوذم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس ، يعود في أصل قبيلته الى قبيلة مذحج المشهورة ، كان له ولأهله قدم صدقٍ في الإسلام، وأمه سمية بنت خباط أول المسلمات ، وأبوه كان أول الرجال من المسلمين ، قتل الكفار،ورأسهم أبا جهل ، سمية وياسر وهم يعذبونهم في رمضاء مكة ، فكانا أول الشهداء في الإسلام ، وعُذِّبَ عمار عذاباً شديداً ، حتى إضطره الكافرون الى أن يذكر النبي والإسلام بسوء ، ويكرم آلهة قريش ودينها ، كما جاء ذكر عدد من الأحاديث النبوية الشريفة تذكر عمق ايمان عمار وصدقه ، وأن الحق يقف الى جانبه أينما وقف ، لكن أهم تلك الأحاديث النبوية الشريفة هوحديث الفئة الباغية ، ويقول فيه النبي الكريم عن عمار بن ياسر ، تقتله ,,الفئة الباغية .. ، ذلك الحديث الذي كان يضع معاوية وجيش أهل الشام موضع التهمة ، البغي ، عندما استشهد عمار وهو يقف الى صف الإمام علي ، ألاّ أن معاوية كان قد التف على الحديث الذي يرويه صاحبه وشريكه في العصيان عمرو بن العاص ، فعندما روى عمرو ذلك الحديث بعد اسشهاد عمار ، كان رد معاوية يمتلئ بالمخاتلة والخداع ،كعادة الطغاة ، فقد رد على ابن العاص ،بأنه لم يقتل عمار ، بل ان الذي قتله هو الذي أتى به الى ساحة المعركة ، قال الإمام علي ما معناه هل أن النبي هو الذي قتل حمزة لأنه هو الذي أتى به الى أرض المعركة في أُحد قياساً على عين النظرية المتهافتة التي أتى بها معاوية.

مما لا شك فيه ان عمار بن ياسر كان من خُلَّص أنصار الإمام علي (ع) وقادته ، وقد رافقه في مسيرته الجهادية من أجل احقاق الحق واعلاء قيم الإسلام وترسيخها في المجتمع الإسلامي ، واجتاز معه كل العقبات التي اعترضت طريق الإمام وتمنعه من تحقيق تلك الأهداف السامية ، منذ أن منع الإمام من حقه في خلافة الرسول الكريم الذي أوصى له في خطبة الغدير في آخر حجة حجها النبي (ص) ، خائضاً كل المعارك التي قادها الإمام يوم توليه الخلافة بعد وفاة الخليفة عثمان ، معارك اشتعلت اعلامياً وحججاً يلقيها الأطراف المختلفة التي كانت تطمع في موقع لا حق لها فيه، منعها الإمام من الحصول عليه ، مروراً بالمعارك الطاحنة ، الجمل وصفين ، التي فرضها الناكثون والطامعون ، حتى استشهد في معركة صفين عام 37 هجرية وعمره ثلاثة وتسعون عاماً ، وكان عمار بمثابة وزير اعلام الإمام علي طيلة مدة الأزمة ، وقائداً بارزاً من قادته ، وقد تقلد مواقع عديدة في القيادة ، أميراً لفرسان جيش أهل الكوفة تارة، وأميرا لمشاتهم تارة أُخرى ، وكان الإمام علي (ع) يعتمد عليه كثيرا ، فيكلفه بالكثير من المهام التي كان يفوضه فيها باتخاذ القرار نيابة عنه.

وقد نزلت فيه عدد من الآيات القرآنية ، تشهد له بالمكانة النبيلة والعظيمة التي يحتلها في عمق الحدث الإسلامي الذي أخذ يهز العالم من أقصاه الى أقصاه ، والذي تحمل فيها عمار قسطاً كبيراً من الجهد في نشرها نحو العالم الذي تلقفها بلهفة ايماناً بذلك الدين الجديد ، ولقد حمل عمار بن ياسر رسالة نبي الإسلام العظيم محمد بن عبد الله (ص) الى بعض من سلاطين ذلك العهد .

كانت حياة الصحابي الكبير عمار بن ياسر سلسلة من الجهاد المتواصل في سبيل الحق ونصرته ، والذود عن حياض الإسلام في أحلك ظروف الصراع ، جنباً الى جنب مع النبي الكريم (ص) ، قبل الهجرة الى المدينة المنورة وما بعدها ، جهاداً لم يعرف الكلل أو التراجع ، حتى قدم حياته في ذلك الطريق ، طريق ذات الشوكة ، في معركة صفين في صراع الحق ضد الباطل الذي دار بين الإمام علي ومناوئيه من الناكثين والمعاندين والقاسطين ، فقد واكب الدعوة الإسلامية منذ بداياتها وعذب مع أهله في سبيلها ، ثم بعد أن هاجر النبي الى المدينة شارك عمار في كل المعارك والغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار ، وبعد أن توفي الرسول الكريم وارتد قسمٌ من عرب الجزيرة عن الإسلام ، وظهور عدد من ادعي النبوة ، شارك عمار بن ياسر في حروب الردة ، وقطعت اذنه في معركة اليمامة المشهورة ، وفي حروب الفتح الإسلامي كانت له مشاركات كبيرة ومشهورة ، خاصة تلك التي كانت متجهة الى الشرق، العراق وبلاد فارس ، وقاد بنفسه عدد من الحملات التي فتحت عدداً من المدن ، شوشتر والري ونهاوند ، أو حشد لها الجيوش من مقاتلي الكوفة الذين كان يوجههم تحت قيادة امراء آخرين بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب الذي ولاه الكوفة ، وقد تحدثت كتب التاريخ عن بعض المعارك التي شارك فيها ، أو النشاطات الأخرى التي تحدثنا عنها ، وكانت مشاركته في معركة الجمل ، ومن بعدها معركة صفين عام 37 للهجرة، تمثل ذروة جهاده المتواصل مع بقية الصفوة من أنصار الإمام علي وقادته، متمسكين بولاية الإمام علي وخلافته الشرعية حتى استشهاده في معركة صفين رضوان الله تعالى عليه .

كان للدعاية الأموية أثرها الكبير في المعركة التي كانت محتدمة في حينها ، واستمرت تلك الدعاية حتى سقوط الدولة الأموية والتي كانت تقدس الدعاية وتجلها ، وتعتبرها سلاح ماض من أسلحتها ، فمعاوية كان واعياً للأثر الذي يمكن أن تتركه الدعاية والدعاية المضادة سلباً وايجاباً اذا لم توجه وتضبط اتجاهاتها وأهدافها ، وقد اتخذ نشاط معاوية الدعائي مسلكاً معيناً له في كل مرحلة من مراحل تطور الصراع واختلاف عناصره ، وهما مرحلتي ما قبل مقتل الخليفة عثمان وما بعد ذلك ، فأما قبل مقتل الخليفة فكان يمنع ويحارب بشدة ظهور أي نوع من الدعاية المضادة للأمويين في الشام ، وهذا ما فعله مع أبي ذر رحمه الله ، عندما أخذ يشن حملة شعواء ضد تسلط معاوية ، وعبثه ، واسرافه وبذخه المفرط ، والإستحواذ على بيت مال المسلمين ، الذي كان يعتبره أن الله هو الذي أفاء به عليه ومنحه اياه !! فلا حق لأحد الإعتراض على حكم الله، وكان أن اشتكى معاوية أبي ذر الى عثمان الذي عاد ونفى رفيق رسول الله الى الربذة فمات وحيداً هناك ، أما الحرب الدعائية التي شنها معاوية بعد مقتل عثمان ، في خلال الأزمة ، فانه حاول جاهداً - وقد نجح في ذلك - أن يضع أهل الشام في قفص ، ينفث فيهم ما يريده من سموم وما يريده من أفكار ، ويمنع أي أفكارمضادة له من التسرب الى مجتمع الشام ، تفضح نواياه وأهدافه الخبيثة ، حتى أنهم ، أهل الشام ، كانوا لا يعلمون أن للنبي أقارب غير بني أمية ، معاوية وأهله ، كا كان راسخاً في أذهانهم أن الإمام علي وأنصاره لا يصلون أو يؤدون بقية الفروض الإسلامية ، حتى أنه كان قد عرف عن أهل الشام بأنهم .. لا يفرقون الناقة عن الجمل .. وذلك بفضل جهود التجهيل التي كان يبذلها

معاوية الذي أسس لهذه الغاية جيوش موازية لهذا الغرض كما أسس الطاغية صدام الفيلق السابع الذي عنى به مهرجوا اعلامه الرخيص وجوقته في التلفزيون والإذاعة والصحف المأجورة التي كان يبذل لها الأموال الطائلة كالوطن العربي والدستور وغيرها،وقد عنى الفيلق السابع الذي سماها به هو أن القوات التي تألفت من ست فيالق عسكرية انما هي سبعة فيالق ،فلإعلام تأثير في الواقع كتأثير فيلق مقاتل.

الفهرس

العنوان	الصفحة
الإهداء	5
المقدمة	7
الفصل الأول	13
1. من هو عمار بن ياسر ؟	15
2.زواج سمية أم عمار من ياسر	17
3.وصف عمار بن ياسر	18
4.تواضعه	19
5.اسلام عمار وما لاقاه من أذى على أيدي قريش	20
6.قصة ياسر والد عمار	22
7. القول في من يشري نفسه	23
8.هوامش الفصل الأول	33
الفصل الثاني	35
1.عمار بن ياسر والإمام علي (ع)	37
2.موقف قريش من عمار بن ياسر	47
3.هوامش الفصل الثاني	59
الفصل الثالث	61
دور الإعلام الأموي في قلب الحقائق	63
1.مرحلة حكم الخليفة عثمان	64
2.مرحلة ما بعد الخليفة عثمان	67
3.هوامش الفصل الثالث	75
الفصل الرابع	87
جهاد عمار بن ياسر	79
1.جهاد عمار مع النبي (ص)	79
2.جهاده في حروب الردة	81

3.جهاده في حروب الفتح الإسلامي	83
4.معركة الجمل	92
5.معركة صفين	113
6.هوامش الفصل الرابع	129
الفصل الخامس	133
1.شهادة عمار بن ياسر	135
2.حديث الفئة الباغية	140
3.هوامش الفصل الخامس	
الخاتمة	153
الفهرس	155
	162

كتب صدرت للمؤلف

1. البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية	1990
2.أزمة القيادة في العراق	1993
3.الإمام علي والحرب	199 4
4 .القائد العلم مالك الأشتر	1997
من سلسلة قادة حول الإمام علي	
5.الأزمنة الضائعة	2001
6. نظرة على إدارة الحرب في العراق	2002
7.ما بعد الإستعباد	2004
8.هاشم بن عتبة بن أبي وقاص	2005
9.جنور الطغيان في العراق	2011
10.القيادة والقائد	2012

كتب جاهزة للطبع

1. سنوات القهر رواية

2. أوراق من حياتي (مذكرات المؤلف)

تنجم أهمية الكتابة عن القائد الشهيد ، عمار بن ياسر ، كونه كان قد وضع بصماته واضحة على أهم مرحلة في التاريخ الإسلامي ، منذ ظهور الدعوة الإسلامية حتى استشهاده في معركة صفين ، كما شارك في كل الأحداث الخطيرة التي حدثت في تلك المرحلة ، الجهاد مع النبي ومشاركته في كل المعارك التي قادها ، وفي أغلب الغزوات والغارات التي أمر بها الرسول الكريم (ص) ، حروب الردة ، حروب الفتح الإسلامي ، معركة الجمل ، معركة صفين ،تلك الأحداث التي كان تأثيرها يمتد الى سنوات طويلة لاحقة ، اضافة الى الصفات الفريدة التي كان يتمتع بها ، الشجاعة التي لا نظير لها ، الإخلاص ، الثبات على العقيدة ، التواضع، الكرم ، الدفاع عن المظلومين ، ومناجزة الطغاة والناكثين والمتمردين ،وزهده الذي كان يظهر عليه حتى في أحرج الأوقات التي تقتضي منه أن يعد نفسه لقضية ستلقي بثقلها عليه ان لم يهيأ لها ،فقد كان يخرج الى القتال في الحرب في لباسه العادي لا يرتدي للحرب لاماتها وحديدها كما يفعل الآخرون ،بل يلف خصره بحزام من ليف سعف النخيل ويخرج لمنازلة أبطال العرب دون أن يضع حياته الأبية أن تكون أي مانع يحول عن إقدامه وسالته في القتال وهو شيخ جاوز التسعين من عمره،رحم الله عمار بن ياسر وأسكنه فسيح جناته إنه سميعٌ مجيب .

دار الجواهري
بغداد - شارع المتنبي